مغامرات شرلوك هولمز

سر الغواصة

ترجمة كمال أمين



سر الغواصة

جريمة قتل غامضة

للكاتب الكبير

سير

آرثر كونان دويل

ترجمة

كمال أمين



سر الغواصة

رقم الايداع بدار الكتب ٣٢٦٩ / ٨٧

ترقيم دولي ٢ ـ ٠٠٨ ـ ٢٨٦ ـ ٩٧٧

التوزيع بالسودان : الخرطوم
مكتبة دار الفكر السوق العربي ـ عمارة الزيات الخرطوم
مكتبة الحارث السوق العربي عمارة الزيات الخرطوم
مكتبة باشري أم درمان ـ ص . ب : ١١٧٥
المكتبة العالمية بالقاهرة

الفصل الأول



شبيه شرلوك هولمز

فى الاسبوع الثالث من شهر نوفمبر غشيت (لندن) سحابة كثيفة من الضباب .

ومرت ثلاثة أيام . . من الاثنين إلى الخميس . . استحال علينا فيها أن نتبين من نوافذ منزلنا فى « شارع بيكر » أسطح البيوت المجاورة .

وأمضى هولمز اليومين الثانى والثالث فى كتابة بحث مطول عن الموسيقى فى القرون الوسطى إذ كان ولوعا بدراسة الموسيقى . . والاستماع اليها .

وحين أقبل اليوم الرابع . . ورأينا أن ستار الضباب الكثيف لا يزال يغمر الأرض والجو . . لم يعد فى طاقة هولمز أن يروض نفسه على الصبر داخل المنزل . . وبرم بالحياة الجامدة . . الراكدة . . فأخذ يذرع قاعة الاستقبال جيئة وذهابا . . وقد ثارت فى نفسه الرغبة فى العمل والكفاح .

وراح ينقر على المقاعد تارة . . والموائد تارة أخرى فى حركة عصبية . . كأنما يخفف بهذه الحركات عما يجيش فى نفسه من ضيق . . وملل .

واخيرا سألنى فى لهفة :

. أليس فى الصحف ياواطسن مايبعث على الاهتمام ؟

كان يعنى بالطبع أخبار الجرائم . . فالأخبار السياسية لم تكن تهمه إلا قليلا . . والاضطرابات الثورية لم تكن تحرك فى

نفسه شيئا من الاهتمام .

وكانت الصحف . . في ذلك العهد . . حافة بمثل هذه الأخبار التي لم يكن هولمز يلقى بالا لها .

وأما أنباء الجرائم . . فلم يكن منها إلا التافه . . الضئيل الشأن الذي لا يبالي به المرء .

فلما أفضيت بهذا إلى هولمز زمجر . . وقرض على أسنانه حنقا ... ورجع يتمشى جيئة وذهابا في القاعة .

ثم التفت نحوي . . وقال في لهجة الرجل الرياضي الذي أخطأه التوفيق في لعبة هامة يقوم بها :

ـ لعمري أن المجرم الانجليزي رجل كسول . . لا يعرف كيف يغتنم الفرصة السانحة . . ارسل بصرك من النافذة ياواطسون . . وأنظر كيف تتراءى أشباح الناس في الطريق غامضة . . غير واضحة . . يشتملها الضباب المعتم .

أن اللص أو القاتل يستطيع . . في مثل هذا الجو . . أن يجوب (لندن) متسترا . . منزويا . . شأن الفهد في الغابة المظلمة لا يراه أحد . . حتى يثب من أحشاء الظلام . . وينقض على فريسته . . فكيف . . كيف يفلت أي مجرم أحمق هذه الفرصة النادرة . . ويظل قابعا في داره !!

فقلت له موضحا :

ـ في الصحف أنباء سرقات كثيرة . . ولكنها صغيرة .

فزمجر هولمز فى أحتقار . . وقال :

ـ هذا الستار المظلم لم يسدل على الأرض لكى ترتكب خلفه سرقات صغيرة . . انه أعظم شأنا من ذلك . . ومن حسن حظ المجتمع ان الله لم يخلقنى مجرما ! !

فقلت له فى ايمان تام :

ـ هذا صحيح ياصديقى . . هذا صحيح

فاستطرد فى حماس وانفعال :

ـ لنفرض انى كنت « بروكس » أو « ودهاوس » أو « مورایاتی » . . أو أى شخص من هؤلاء الخمسين الذين يهمهم أن يفتكوا بى . . ويتخلصوا من مطاردتى لهم . . ورغبتى فى القضاء عليهم . . لنفرض أنى كنت واحد منهم . . فإلى متى ياترى يطول فرارى من شرلوك هولمز ؟

كان حسبى . . لو أنى كنت مجرماً . . أن أخدع الشرطى السرى الذى يطاردنى . . فأستدرجه إلى الخروج فى يوم كهذا . . يسوده الضباب . . أو أترصد خطواته . . فإذا ماغادر داره . . وثبت عليه . . وفتكت به . . وفررت . . فى أقل من لمح البصر . . متسترا بالضباب .

ثم تنهد وقال :

ـ لكن لنحمد الله على أنى لا أعيش فى تلك البلاد اللاتينية التى يعمد المجرمون فيها إلى سفك دماء متعقبيهم فى غير تردد

او هوادة . . ولنحمد الله مره اخرى على انه زودنا « بشئ » ينقذنا من هذا الخمول المتواصل !!

***

وكان هذا « الشيء » عبارة عن برقية حملتها الينا الخادمة ففضها هولمز . . وقرأها بأمعان . . ثم قهقه ضاحكا . . وقال :

ـ هذا بديع . . هذا بديع . . ليت شعرى . . ما الذى تدخره لنا الأقدار فى طوايا الغيب . . أن أخى مايكروفت قادم لزيارتى !!

فقلت فى شىء من الاستغراب :

ـ وأى عجب فى أن يزور الأخ أخاه ؟

فقال مؤكدا :

ـ أى عجب ؟ ان فى زيارته لى كل العجب . . انها أشبه بمسير الترام فى شارع فى قلب الريف . . وما يكروفت بالترام . . له قضبان يسير عليها . . ولا يحيد عنها .

منزله فى « بول مول » . . ناديه فى « ديوجين » . . مكتبه فى « هوايت هول » . . هذه هى دائرة حياته التى لا يخرج عنها . . ومازارنى إلا مرة واحدة . . ولسبب عظيم . . فليت شعرى ما الذى دفعه فى هذه المرة إلى الخروج عن القضبان لكى يحضر إلى زيارتى ؟

فسألته فى فضول :

ـ ألم يتضمن برقيته شيئا معينا ؟

فناولني هولمز البرقية . . فتلوتها .

وكان هذا نصها :

« يجب أن اقابلك بشأن كادوجان وست »

« سأحضر فورا ـ مايكروفت هولمز »

* * *

قلت متسائلا :

ـ كادوجان وست ؟ . . لقد سمعت بهذا الاسم من قبل ! !

فأجاب هولمز بغير اكتراث :

ـ أما أنا فلا أذكر من أمره شيئا . . ولكن لابد أن يكون لهذا الاسم شأن عظيم . . فقد يتحرك الجبل الراسخ من مكانه . . ولا يتحرك مايكروفت . . وبهذه المناسبة أتعرف ياترى العمل الذى يزاوله أخى مايكروفت ؟

وكان هولمز قد سبق أن أشار الى عمل أخيه فى الدوائر الحكومية اشارة وجيزة . . مقتضية بمناسبة « قضية المترجم اليونانى » . .

فقلت له :

ـ لقد أنبأتنى انه يدير مكتبا صغيرا تحت اشراف الحكومة البريطانية .

فضحك هولمز . . وقال :

ـ في ذلـك العهـد كانت معـرفتي بك محدودة . . حديثـة . . فاعتصمتْ بالتكتم وأنـا أتحدثْ عن سياسة الدولة العليا . . ولكنـك على حق إن اعتقدت أن مإتبة تحت اشراف الحكومة البريطانية . . بك انك لن تسرف في القول اذا قلت بكل ثقة أن أخى مايكروفت هو الحكومة البريطانية !!

فهتفت في دهشة بالغة :

ـ عجبا . . ها هذا الكلام ياهولمز ؟

فأبتسم ابتسامة عريضة . . واستطرد قائلا .

ـ كنبت أعـرف أن الامر سيدهشك . . أن ما يكروفت ينتاول ثلاثـمائة جنيه مرتبا شهـريا . . وسيظل طوال حياته مرؤوسا لا رئيسا . رئيس له مطمح من أى نوع كان . . ولن تكلل هامتـه أكـاليل الغار . . ولن ينعم عليه بالألقاب الرفيعة . . ولكنـه . . رغم كل ذلـك . . سيظل دائـما . . الرجل الذى لا يمكن أن تستغنى عنه البلاد من أقصاها الى أقصاها .

قلت وقد ازداد عجبى :

ـ ولكن كيف ؟ كيف ؟

ففكر لحظة . . ثم قال موضحا :

ـ أن منصبه فذ . . فريد في نوعه . . خلقه لنفسه . . وما كان له مثيل من قبل . . ولن يكون !!

أن ما يكروفت يمتاز بمخ منظم [illegible]

نادرة على استظهار الوقائع . . وتنسيقها . . وهى ميزة لا يجاريه فيها انسان فى هذه البلاد .

ونفس المواهب العظيمة . . الرائعة التى حبانى بها الله فاستخدمتها فى التحليل والاستنتاج . . استخدمها هو فى التنسيق . . والترتيب . . واداء عمله العظيم . . ان نتائج عمل كل مصلحة من المصالح تعرض عليه . . فيكون منها بمثابة المركز الرئيسى للتجمع والتحويل !! .

انه بمثابة « بنك التصفية » بين البنوك . . أى البنك الذى تجتمع فيه كل العمليات المتشعبة . . فيصفيها . . ويضع لها الميزانية النهائية الصحيحة التي لا يأتيها الشك من أمام أو من خلف .

جميع الرجال الآخرين اخصائيون فى مهنتهم . . أما مايكروفت فهو العالم بكل شىء . . المحيط بك ما يجرى فى المصالح المختلفة . . والمؤسسات العديدة .

قلت وقد أذهلنى حديثه :

ـ هذا غريب حقا ؟

فاستطرد يقول وقد لذ له أن يدهشنى :

ـ لأضرب لك مثلا يوضح ما أقول . . لتفرض أن مزيرا معينا طلب بيانات لها صله بالاسطول . . والهند . . وكندا . . ونظام اصدار الأوراق المالية . . ففى وسع هذا الوزير أن يتزود بهذه



البيانات من شتى المصالح . . والأقسام المختلفة . . كل على حدة . . وهنا يتقدم ما يكروفت ليركزها . . ويمزج بينها . . ويخلق فى النهاية . . من جميع هذه البيانات . . مزيجا جديدا . . معدنا جديدا . . هو الخلاصة الكاملة .

وفى مبدأ الأمر يستخدمون ما يكروفت . . وينتفعون بخبرته . . على اعتبار انه كفيل بتهوين العمل لديهم . . وتخفيف المتاعب عليهم . . ثم انقلب الأمر . . فاستطاع أن يجعلهم يشعرون بأن عمله جوهرى لابد منه . . ولا استغناء عنه .

أن مخه العظيم الرائع أشبه بعيون الخطايات . . لكل موضوع عين خاصة . . فإذا هو فى ذهنه منسق . . مرتب . . لا يختلط بسواه . . وكم من مرة كانت كلمته هى الكلمة العليا فى سياسة الدولة .

أنه غارق إلى أذنيه فى الاسرار العليا . . لا يفكر الا فيها . ولا يشرد ذهنه عنها . . إلا حين أذهب اليه فأستعين به على حل احدى معضلات الجرائم . . إذ يجد فى هذا التفكير الجديد لونا من ألوان التسلية . . والترويح عن النفس .

ولكن . . هاهى ذى الشمس تنتقل من مكانها . . وتهبط الينا . . فليت شعرى . . ما الذى أثار الزوبعة ؟ . . ومن هو « كادوجان وست » هذا ؟

وما هى علاقته بها يكروفت ؟

* * *

ساد الصمت لحظة بيننا . . انشغل فيها هولمز باعداد غليونه . . وتبغه . . وفجأة أسعفتنى ذاكرتى بخصوص اسم « كادوجان وست » فهتفت قائلا :

ـ لقد تذكرت الآن كل شىء عن كادوجان وست . . انه ذلك الشاب الذى وجد قتيلا على قضبان السكك الحديدية فى يوم الثلاثاء الماضى .

فاعتدل هولمز فى جلسته . . وأشعل غليونه . . ثم قال :

ـ لا ريب أن للأمر خطورة عظيمة ياوطسون . . ان الميتة التى تجعل أخى يغير من طباعه . . وعاداته . . لابد أن تكون ذات شأن خطير . . ولكن الذى يدهشنى حقا هو ما هى العلاقة التى تربط مايكاروفت بهذا الشاب ؟

أنى أذكر أن الحادث بدا فى نظرى عاديا . . لا لون له . . إذ ظهر أن الشاب سقط من القطار فمرت عليه العجلات . . ومزقته . . وليس هناك أى أثر يدل على العنف . . أو السرقة . . أليس كذلك ؟

فقلت له مجيبا :

ـ ولكن التحقيق كشف عن وقائع جديدة . . وإذا نحن أنعمنا النظرة فى هذه الوقائع بدت لنا القضية ذات طابع غريب .

فقال هولمز مؤمنا على كلامى :

ـ هذا طبيعى مادام لها هذا الأثر على أخى .

ثم جلس على المقعد الكبير الوثير . . وارخى جسمه فى ارتياح . . ثم قال لى :

ـ والآن ياواطسن . . حدثنى بوقائع المأساة .

* * *

قلت وأنا استرجع ما أعرفه من معلومات عن هذه القضية :

ـ هذا الشاب يدعى آرثر كادوجان وست . . وهو فى السابعة والعشرين من العمر . . وغير متزوج . . ومهنته كاتب فى (مصانع السلاح) فى (ولويتش) .

ـ اذن فهو موظف حكومى . . وهذه أول رابطة تجمعه بأخى مايكروفت .

واستطردت قائلا :

ـ وفى مساء يوم الأثنين غادر (ولويتش) فجأة . . وكانت خطيبته الآنسة فيوليت وستبرى آخر شخص رآه . . فقد تركها فجأة وسط الضباب فى الساعة السابعة والنصف مساء تلك الليلة . . ولقد كانت علاقاتها به ودية . . ولم يشخر بينهما أى خلاف . . فليس فى وسعها أن تبرر فعلته . . ولم يسمع عنه أحد شيئا بعد ذلك . . حتى وجدت جثته على قضبان « سكة حديد لندن » . . تحت الأرض . . خارج « محطة

اولدجيت » . . أما مكتشف الجثة فعال يدعى ماسون .

فسأل هولمز فى اهتمام :

ـ ومتى اكتشفت الجثة ؟

ـ وجدت الجثة فى الساعة السادسة من صباح يوم الثلاثاء وكانت ملقاه على الارض . . بعيدة عن القضبان . . إلى يسار الخط الحديدى المتجه الى الشرق . . عند نقطة قريبة من المحطة . . حيث يخرج الخط من النفق .

وكانت الرأس مهشمة تماما . . ويدل شكل الاصابة على انها ناشئة عن سقوط من القطار وهذا هو التعليل الوحيد لوجود الجثة فى هذا المكان . . فلو أنه جىء بها من شارع قريب لكان من المحتم المرور من بوابات المحطة . . حيث لا يكف جامعو التذاكر عن مراقبة الأبواب لحظة واحدة وهذا التفسير يعد تفسيرا مؤكدا .

فقال هولمز :

ـ حسنا جدا . . ان القضية واضحة حسب هذه الوقائع . . فالرجل مات بسبب سقوطه من القطار . . وقد يكون هذا السقوذ عمدا . . أو عفوا . . استمر من فضلك .

فقلت مستطردا :

ـ ان القطارات التى تمر على القضبان التى وجدت الجثة إلى جوارها هى القطارات القادمة من الغرب . . الى الشرق . .

وبعضها خاص بمنطقة العاصمة . . وبعضها قادم من « ويلسدون » . . والمحطات الفرعية الأخرى . . ويمكن أن يقال على وجه التأكيد . . بأن الشاب . . حين لقى حتفه كان متجها الى هذا الاتجاه . . فى ساعة متأخرة من الليل . . ولكن الشيء الذى لايزال مجهولاً . . لم يقطع فيه البوليس برأى . . هو المحطة التى ركب منها الشاب .

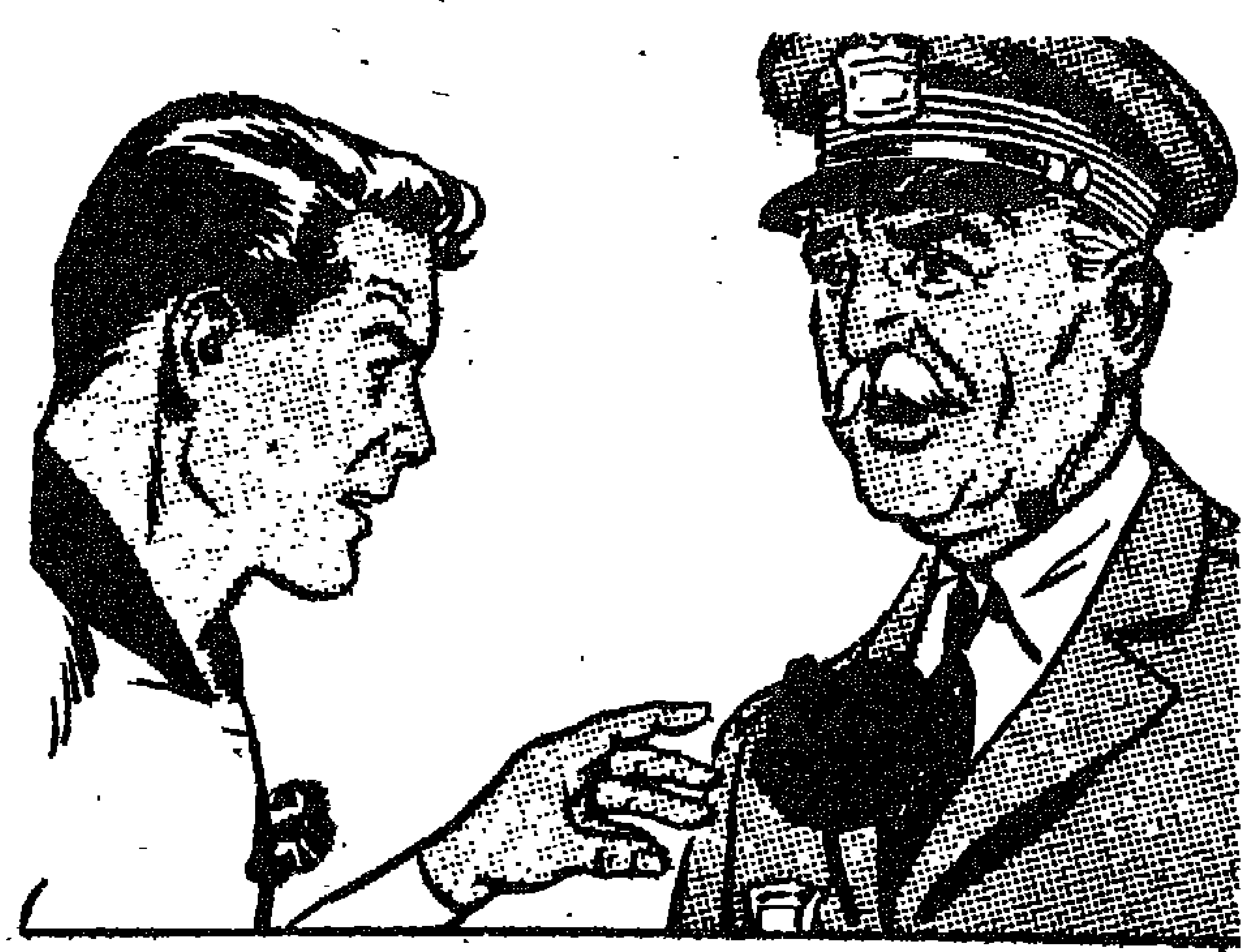
فقال هولمز معترضا :

- ولكن تذكرته كفيلة باظهار الحقيقة .

- لم تكن فى جيوبه تذكرة .

- عجبا . . ألا يبدو اختفاء التذكرة غريبا فى نظرك ياواطسون . . اننى استطيع أن أقول . . استنادا إلى تجربتى الشخصية . . انه من المستحيل الوصول إلى الرصيف الداخلى بدون تذكرة . . فمن المؤكد اذن ان الشاب قد حمل تذكرته معه . . فهل انتزعت منه لاخفاء اسم المحطة التى ركب منها ؟ هذا فرض محتمل . . أم سقطت منه عفوا أثناء وجوده فى القطار ؟ هذا محتمل أيضا . . وهذا البحث طريف كما ترى . . ومثير للاهتمام . . حسنا . . أليس هناك أى أثر يدل على وقوع سرقة ؟

- نعم وهناك قائمة بالأشياء التى وجدت فى جيوب القتيل . . كيس يحتوى على جنيهين وخمسة عشر شلنا . . دفتر شيكات على



« بنك ولويتش » فى العاصمة بكافة فروعه . . وكان دفتر الشيكات هو الوسيلة إلى التعرف على شخصيته . . وكان فى هذه أيضا تذكرتان لمشاهدة التمثيل فى « مسرح ولويتش » فى نفس تلك المساء . . كذلك كانت فى جيوبه أوراق بها تصميمات سرية .

فهز هولمز رأسه هزة تدل على الارتياح وقال :

ـ ها نحن قد عثرنا أخيرا ياواطسون على ما ننشد . . الحكومة البريطانية . . ولويتش . . مصانع السلاح . . تصميمات سرية . . أخى ما يكروفت . . لقد انتظمت الحلقة .

وارسل بصره عبر النافذة . . ثم استطرد قائلا فى ابتهاج :

ـ هو ذا أخى قد حضر لينبئنا بما يعلم



الفصل الثانى

سر الغواصة الرهيبة !

بعد لحظات دخل علينا ما يكروفت هولمز بقامته المديدة . .
وقوامه الممشوق .
كان فى منكبيه العريضين . . المبسوطين . . ما ينبىء بالقوة . . ومتانة العضلات .
وكان فى جبهته العريضة . . وعينيه النفاذتين . . العميقتين . . وشفتيه المتصلبتين . . ما يدل على العزم . . والتصميم . .
أما تعبيرات وجهه . . فكانت ناطقة بالمكر . . والدهاء . . فلا تلبث حين تنظر اليه أن تنسى الجسم الضخم . . العملاق . . ولا تعود تذكر إلا العقل المسيطر . . الجبار .
وفى إثره رأينا صديقنا ليستراد المفتش بادارة « سكوتلانديارد » . . بوجهه النحيف . . وجسمه الضئيل .
وكان فى وجهى الرجلين مايوحى بأنهما حضرا من أجل أمر خطير .

* * *

وصافحنا المفتش ليستراد دون أن ينطق بكلمة واحدة .
أما مايكروفت هولمز . . فنزع عنه معطفه . . وتهالك على أحد المقاعد وهو يقول بصوته القوى :
ـ حادث مزعج ياشرلوك . . انك تعلم مبلغ كراهيتى لتغيير عاداتى والخروج عنها . . ولكن الأثر الذى يمكن أن يترتب على

هذا الحادث يستحيل أن يعقل أو ينكر . . وما كان لى بحال من الأحوال أن ازايل مكتبى لكن الحادث الذى نحن بصدده . . قد يفضى إلى أزمة خطيرة . . وما رأيت رئيس الوزراء من قبل . . أشد قلقا مما رأيته اليوم . . أما وزارة البحرية فقائمة على قدم وساق . . ألم تقرأ تفاصيل الحادث ؟

فأجاب هولمز وهو ينحى غليونه جانبا :

ـ سمعتها الآن توا من واطسن . . فما هى هذه التصميمات السرية التى وجدت مع القتيل ؟

فهتف مايكروفت :

ـ ذلك هو جوهر المسألة . . ولحسن الحظ تكتمنا نبأ عنها الصحف . . والا أثارت الرأى العام عليها . . ان التصميمات السرية التى وجدت فى جيب ذلك التعس . . هى تصميمات « غواصة بروس بارنجتون » . . أو « الغواصة الرهيبة » كما يطلقون عليها .

* * *

كان مايكروفت هولمز يتكلم فى اهتمام يدل على خطورة الأمر .

ولبث أخوه يرقبه صامتا . . فسأله مايكروفت :

ـ ألم تسمع من قبل عن هذه الغواصة ؟ كنت أظن أن الناس بأسرها قد سمعت بموضوع « الغواصة الرهيبة » .

فقال هولمز :

ـ سمعت عنها عرضا .

فاستطرد مايكروفت فى حماس وانفعال :

ـ أن لهذه « الغواصة الرهيبة » أهمية من الوجهة الحربية والحكومة تحرص على كتمان سرها أشد الحرص . . ويمكننى أن أؤكد لك أن الاعتداء على الأسطول يمكن أن يصبح شبه مستحيل اذا ما استعنا بهذه الغواصة فى الدفاع عن سلامته .

ومنذ عامين أنفقت الحكومة مبلغا طائلا لشراء تصميمات هذه الغواصة . . واحتكار الاختراع لنفسها .

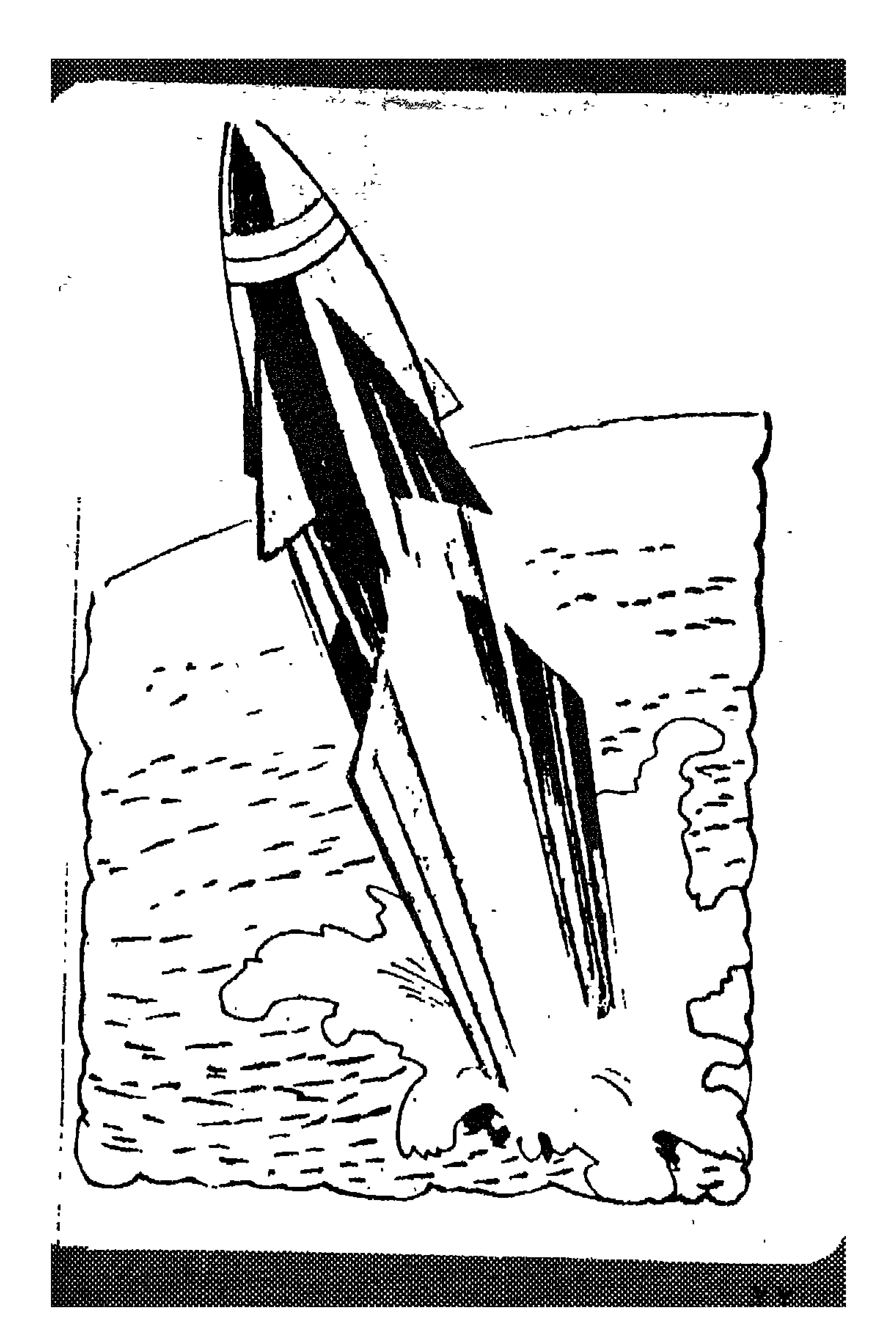
ولم تدخر وسعا فى صيانة جميع التجارب بالكتمان .

وتتكون التصميمات من ثلاثين نموذجا منفصلا . . وكل منها ضرورى ، ، لاغناء عنه لاستكمال بناء الغواصة .

وهذه النماذج محفوظة فى خزانة بالغة المتانة . . موضوعة فى غرفة ملحقة بمصانع السلاح . . ومزودة أبوابها ونوافذها بأجراس للانذار ضد سطو اللصوص .

ولغ من شدة حرص الحكومة على التكتم . . والمحافظة على سر الغواصة . . انها أمرت رئيس مهندسى البحرية بأن لايتسلم صورة من هذه التصميمات عند بنائها . . وان عليه اذ شاء ـ الرجوع اليها فى المكتب الخاص بها فى مصانع السلاح .

وعلى الرغم من كل هذه الاحتياطات . . عثرنا على هذه



التصميات فى جيب القتيل . . وهو طريح على قضبان السكة الحديدية فى قلب لندن . . فالمسألة - كما ترى - فى منتهى الخطورة .

فقال شرلوك هولمز :

- وهل استعدتم الأوراق ؟

فهتف مايكروفت فى ضيق وضجر :

- كلا ياشرلوك . . كلا وهذه هى المشكلة الكبرى . . اننا لم نستعد الأوراق كلها . . فقد كانت الأوراق التى أخذت من (ولويتش) عشرا . . ولكننا لم نعثر فى جيوب كادوجان وست إلا على سبع . . والأوراق الثلاث التى اختفت هى أهمها . . وأخطرها . . فأرجوك ياشرلوك أن تتفرغ لهذا العمل . . اترك أعمالك الأخرى كلها . . ولاتقم وزنا لقضاياك البوليسية « الضئيلة الشأن » . . أن المهمة الملقاة على عاتقك الآن ذات خطورة دولية . . فعليك أن تميط اللثام عن هذا اللغز .

لماذا أخذ كادوجان وست هذه الأوراق ؟

وأين الأوراق الناقصة ؟

وكيف مات ؟

وكيف وجدت جثته حيث كانت ؟

وكيف يمكن تلا فى الشر . . ورد الأمور إلى نصابها ؟

ابحث ياشرلوك عن جواب شاف لهذه الأسئلة لتؤدى لبلادك

خدمة جليلة .

فنفث شرلوك هولمز دخان غليونه ببطء . . ثم قال :

ـ لم لاتحل هذا اللغز بنفسك يا ماكروفت . . ومواهبك ليست دون مواهى ؟

فضحك مايكروفت واجاب :

ـ في مقدورى أن أفعل ذلك ياشرلوك . . ولكن جمع المعلومات هو أساس البحث . . زودنى بهذه المعلومات . . وأنا الكفيل بأن أرشدك برأى سديد وأنا جالس أمام مكتبى . . أما أن تطلب منى أن أذهب هنا . . وهناك . . واستجوب حراس السكة الحديد . . وأنطرح فوق الأرض . . على وجهى . . وتحت عينى عدسة مكبرة . . فهذا عمل لايلذ لى . . ولا أجيده فضلا عن ذلك . . لاياشرلوك . . انك الرجل الوحيد الذى يصلح لهذه المهمة . . فاذا أحببت أن ترى اسمك تعلوه أكاليل الغار . . و . .

فابتسم هومز . . وهز رأسه . . وقال مقاطعا :

ـ ألا تعلم يامايكروفت انى رجل لا أتولى قضية إلا اذا طاب لى العمل فيها ؟ مهما يكن من الأمر فان هذه القضية تعجبنى . . وفيها مايستثير الاهتمام . . وسيروق لى ان أتولى دراستها . . فهل لك أن تزودنى ببعض الحقائق ؟

فقال مايكروفت :

ـ لقد دونت جميع الحقائق الجوهرية فى هذه الورقة مع بعض عناوين وأسماء قد تكون ذات نفع لك .

ان الحارس الرسمى الحالى للتصميمات هو سير جيمس والتر خبير الحكومة البريطانية الشهير .

وهو رجل من كبار العلماء . . والقابه العلمية والفخرية . . والأوسمة الرفيعة التى ناها تشغل سطورا غير قليلة فى (الدليل العام) .

وقد أمضى حياته فى خدمة الحكومة حتى أدركه المشيب . وهو . . فضلا عن ذلك . . رجل شهم . . نبيل . . ووطنيته فوق مستوى الشبهات .

والسير جيمس أحد رجلين كل منهما يحمل مفتاحا للخزانة . . وأستطيع أن أوكد لك أن الأوراق كانت فى الخزانة أثناء ساعات العمل فى يوم الاثنين . . وفى الساعة الثالثة بعد الظهر . . غادر سير جيمس مكتبه ذاهبا إلى (لندن) والمفتاح فى جيبه . . وأمضى السهرة كلها فى منزل الاميرال سنكلر فى « ميدان باركى » . . وفى غضون ذلك المساء وقع الحادث . .

ـ وهل تحريتم عن حقيقة وجوده عند الاميرال ؟

نعم . . وقد شهد الكولونيل فالنتين والتر بأن اخاه سير جيمس غادر (ولويتش) فى الموعد الذى ذكره . . كما شهد الاميرال سنكلر بأنه أمضى السهرة عنده . . وأيد موعد وصوله

إلى (لندن) . . فيمكننا . . استنادا إلى هذه الشهادات . . أن نعتبر سير جيمس ليس عاملا مباشرا فى الحادث .

فسأله شرلوك هولمــز :

ـ ومن الذى يحمل المفتاح الثانى للخزانة ؟

ـ رئيس الكتبة مستر سيدنى جونسون . . وهو فى الأربعين من العمــر . . متــزوج . . وذو خمســة أطفــال . . وهــو رجــل صمــوت . . محب للوحــده . . ولــه فى خدمة الحكومة سجل ناصع . . أما زملاءه فيمقتونه لصلفه وصدته . . وقد قرر أنه أمضى مساء يوم الأثنين فى داره بعد أن غادر مكتبه . . وأيدته زوجتــه فى ذلك . . أما مفتاح الخزانة فقال انه يعلقه عادة فى سلسلة ساعته . . وأنه ظل فى مكانه هذا .

ـ حدثنى اذن عن كادوجان وست .

ـ لقد أمضى فى الخدمة عشرة أعوام . . وأحسن أداء عمله . . والمــأثــور عنــه أنــه شاب نزيه . . أمــين . . وإن كان سريع الغضب . . لايملك التسلط على أعصابه . . وليس لدينا ما يؤخــذ عليه . . وهــو بمثــابــة وكيل لرئيس الكتبة . . وعمله يقتضى منــه اتصالا يوميا مستمرا بتصميمات الغواصة . . ولا يسمح لسواه من الكتبة بتداول هذه التصميمات .

ـ ومن الذى وضع رسوم التصميمات فى الخزانة تلك الليلة ؟

ـ مستر سيدنى جونسون رئيس الكتبة .

ـ اذن ليس ثمة أي غموض في معرفة شخصية الرجل الذى أخذ الأوراق مادامت قد وجدت فعلا فى جيوب كادوجان وست . . أليس الأمر واضحا بما فيه الكفاية ؟

فأجابه مايكروفت قائلا :

ـ هذا صحيح ياشرلوك . . إن الأمر واضح تمام الوضوح . . ولكنه مع ذلك لايزال غير واضح . . فأولا : ما الذى حمل كادوجان وست على أخذ أوراق التصميمات ؟

ـ أظنها ذات قيمة مالية ؟

ـ فى وسعه أن يبيعها بكل سهولة ببضعة آلاف من الجنيهات .

ـ أيمكن أن يكون هناك سبب آخر حمله على الذهاب بها إلى (لندن) . . عدا اعتزامه بيعها ؟

ـ لاأدرى . . إن فكرة البيع هى الفكرة المبدئية التى تجرى بالخاطر .

ـ علينا إذن نتخذ هذا الفرض أساسا لبحثنا . . لقد أخذ كادوجان وست الأوراق . . فيكف استولى عليها ؟ لا ريب أنه استعمل مفتاحا مصطنعا .

ـ بل عدة مفاتيح مصطنعة . . اذ لابد له أن يفتح الباب العمومى . . فباب الغرفة . . ثم باب الخزانة .

ـ اذن فعنده بلا ريب عدة مفاتيح مصطنعة . . ولا بد أنه أخذ الأوراق إلى لندن ليبيع السر . . وكان ينوى ـ فيما يبدو ـ أن يردها

إلى الخزانة في صباح اليوم التالي . . قبل أن يلحظ احد اختفاءها . . ولكنه لقى حتفه قبل أن يبلغ غرضه .

ـ ولكن كيف لقى حتفه ؟

فقال شرلوك هولمز :

ـ لنفرض أنه قد قتل أثناء عودته في القطار إلى (ولويتش) والقيت جثته من المركبة على القضبان .

فقال مايكروفت معترضا :

ـ ولكن محطة اولدجيت ـ وجدت الجثة ـ تقع على غير الطريق المؤدية إلى (ولويتش) . . اذ أن « محطة جسر لندن » هى نقطة التحويل . . فلماذا تابع طريقه إلى « محطة اولدجيت » ؟

ـ وهناك عدة احتمالات يمكن أن تخطر بالبال لتبرير عدم تحوله إلى (طريق ولويتش) . . فيمكننا أن نفترض مثلا انه كان منهمكا في الحديث مع شخص يشاطره المركبة . . فلم يفطن إلى « محطة التحويل » . . أو تجاوزها متعمدا في طريقه إلى « محطة اولدجيت » مع صاحبه حتى لايقطع الحديث .

وهناك احتمالان آخران يترتبان على هذا الفرض . . أولهما : ان الحديث انتهى بشجار عنيف أفضى إلى موته . . ثم القائه من القطار .

وثانيهما أنه حاول مغادرة المركبة . . فسقط بين الخطوط . . ومات لساعته . . فأغلق خصمه الباب . . وكان له في الضمن

الكثيف ما ألقى على ماحدث ستارا من الكتمان .

فقال مايكروفت هولمز مؤمنا :

ـ هذا ياشرلوك تفسير سديد لما وقع . . فى حدود الوقائع القليلة التى لدينا . . ولكنك مع هذا تركت بعض الأمور مستغلقة . . غامضـة . . فلنفرض جدلا أن كادوجان اعتزم أن يذهب بالأوراق الى (لندن) لبيعها . . فلا شك أنه ضرب موعدا لمقابلة « الجاسوس الأجنبى » ولا شك أنه حرص على أن يظل طليقا طيلة المساء . . ولكنه بدلا من هذا يحتجز لنفسه . . ولخطيبته مقعدين فى المسرح . . ويصحبها نصف الطريق . . ثم يتركها بغتة . . ويختفى فى أحشاء الضباب .

وتدخل المفتش ليستراد لأول مرة فى الحديث . . فقال معللا تلك النقطة :

ـ ربما عمد الى ذلك على سبيل التضليل .

ـ فى هذه الحالة تكون خدعته من نوع سخيف . . وعجيب . هذا هو الاعتراض الأول . . أما الاعتراض الثانى . . فيمكن أن نفترض أنه وصل إلى لندن . . وقابل الجاسوس الأجنبى . فكان عليه أن يرد الأوراق الى مكانها قبل أن تكتشف سرقتها فى الصباح .

لقد سرق عشر أوراق . . ولكننا لم نجد فى جيبه الا سبعا . . فأين ذهبت الثلاث الناقصة ؟

من المؤكد انه لم يتخل عنها بمحض ارادته . . وهنا يجب ان نتساءل عن ثمن الخيانة . . واين اختفى ؟

لقد كنا نتوقع أن نجد في جيبه رزمة كبيرة من الأوراق المالية !

فقال المفتش ليستراد .

- إن الأمر فى نظرى من الوضوح بحيث لايحتاج إلى شىء من التساؤل . . لقد ذهب بالأوراق إلى لندن لبيعها . . وقابل الجاسوس . . فلم يتفقا على الثمن . . فرجع إلى داره والجاسوس فى رفقته . . وفى أثناء ركوبهما القطار قتله الجاسوس . . واستولى على الأوراق الأكثر أهمية . . وألقى بالجثة من المركبة . . ورجع إلى داره آمنا . . مطمئنا . . ان هذا التعليل - فيما أرى - يشتمل جميع الوقائع . . ألي كذلك ؟

- ولم اختفت التذكرة ؟

- لأن وجودها سيدلنا على أقرب محطة إلى منزل الجاسوس . ولهذا اخذها من جيب القاتل .

فقال شرلوك هولمز :

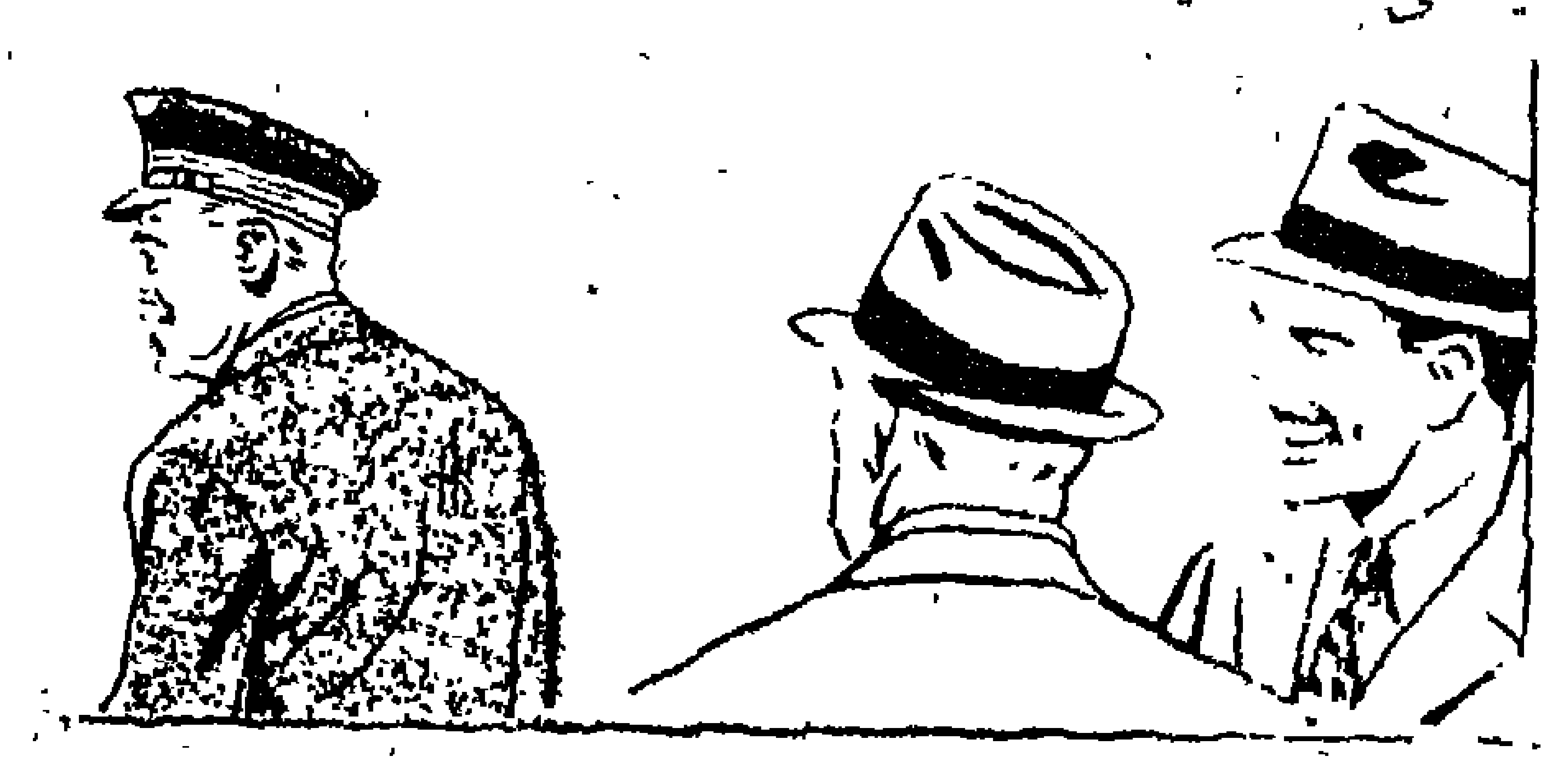
- بديع جدا ياليستراد . . بديع جدا . . أن نظريتك متماسكة محبوكة . . ولكن اذا صحت هذه النظرية فمعنى ذلك أن القضية انتهت . . الخائن مات . . وتصميمات الغواصة انتقلت إلى الدول الأجنبية . . فأى داع للاهتمام بعد ذلك ؟ وأى عمل يبقى أمامنا ؟

فصاح مايكروفت وقد نهض واقفا :

- يبقى أمامك أن تعمل ياشرلوك . . أن قلبي يحدثني بأن هذه النظرية غير سديدة . . ولا نصيب لها من الواقع . . فهيا استخدم مواهبك . . اذهب إلى مكان الجريمة . . قابل كل من له صلة بالحادث . . استجوب هذا . . واستجوب ذاك . . ولا تدع ركنا إلا فتشت فيه . . ولا حجرا إلا قلبته . . ونبشت تحته . . تلك ياشرلوك فرصة سانحة لخدمة بلادك . . فلا تتردد في انتهازها .

فهز شرلوك هولمز كتفيه . . وقال :

- حسنا . . هذه خطبة بليغة . . هيا بنا ياواطسن . . وانت أيضا ياليستراد . سنذهب الآن إلى « محطة اولدجيت » لندرس المكان عن كثب . . الى اللقاء يامايكروفت . . سأبعث اليك بتقريري قبل المساء . . ولكن ينبغي أن تدرك من الآن بأنه لن يشفي لك غليلا .





تحريات ومفاجآت

لم تكد تمضى على هذا الحديث ساعة تقريبا حتى كنت أنا وليستراد وهولمز نقف على خطوط السكك الحديدية التى تجرى تحت الأرض . . عند نقطة خروجها من النفق . . قبيل « محطة اولدجيت » مباشره .

وكان فى رفقتنا مندوب من طرف السكة الحديد .

* * *

قال المندوب مشيرا إلى مكان يبعد ثلاثة أقدام عن الخط :

ـ هنــا كانت الجثــة . . ويستحيل أن تكــون قد وقعت من أعلى . . فأن الجدران شاهقة . . لا منفذ فيها . . وليس ثمة مكان المرور فوقها . . فلابد اذن ان يكون القتيل قد سقط من القطار . . وهذا القطار ـ طبقا لما لدينا من المعلومات ـ لابد أن يكون قد مر بهذه النقطة حوالى منتصف الليل من مساء الأثنين .

فقال شرلوك هولمز يسأله :

ـ هل فحصتم المركبات للتأكد من أنه لم يرتكب فيها أى عمل يقترن بالعنف . . أو سفك الدماء ؟

فأجاب مندوب شركة السكة الحديد :

ـ فحصناها . . ولم نشتبه فى شىء . . ولم نعثر على التذكرة .

ـ ألم تعثروا على أحد الأبواب مفتوحا ؟

ـ كلا . . كلا بالتأكيد .

فقال ليستراد :

ـ لدينا شهادة جديدة جائتنا هذا الصباح . . فقد ذكر أحد المسافرين إلى « محطة أولـدجيت » فى القطار القادم من العاصمة . . أنه سمع فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الأربعين من مساء يوم الأثنين . . صوت اصطدام لجسم ثقيل بالأرض . . شبيه بالصوت الذى ينشأ عن وقوع انسان على الخطوط الحديدية . . وذلك قبل وصول القطار إلى المحطة . . وكان الضباب كثيفا . . فلم يتبين شيئا فى الظلام . . ولم يعلق على الأمر أهمية اذ ذاك . . ولكن ماذا جرى . . ماذا دهى مستر هولمز ؟

* * *

التفت إلى هولمز . . فتملكتنى الدهشة بدورى .

كان واقفا وعضلات وجهه متوترة . . تنم عن الانفعال وهو يحملق فى الخطوط الحديدية الممتدة خارج النفق .

وكان بصره مستقرا على « مجمع الخطوط » فقد كانت « محطة اولدجيت » نقطة اتصال مركزية تتفرع عندها خطوط كثيرة جميع الجهات .

وادركت من توتر سحنته انه وقع على اثر خطير .

* * *

تمتم هولمز أخيرا :

ـ مجمع خطوط . . مجمع خطوط .

فسأله المفتش ليستراد :

ـ وأى شىء فى ذلك . . ماذا تقصد ؟

ـ أظن أن « مجمعات الخطوط » ليست منتشرة فى هذه المنطقة .

ـ كلا بالطبع .

ـ والخط منحن أيضا . . حسنا . . انحناء ومجمع خطوط . . ليت الأمر كذلك ؟ !

فقال ليستراد فى لهفة :

ـ أى فكرة لديك يامستر هولمز ؟ هل وقعت على أثر ؟

فأجاب هولمز فى شرود :

ـ مجرد فكرة . . مجرد وهم ليس إلا . . ولكن القضية بدأت تلذ لى . . انها نافذة . . نادرة . . ولكن لم لا ؟ انى لا أرى على الخط أثر للدماء .

فقال مندوب الشركة :

ـ الواقع أن آثار الدم كانت معدومة ..

ـ ومع ذلك . . قيل لى أن القتيل كان مصابا بجرح كبير .

ـ لقد تهشمت عظام الجمجمة . . ولكن لم تكن هناك أية اصابة خارجية .

فقال هولمز :

ـ ولكن هذا لا يمنع أن يتوقع المرء أن تنزف الدماء . . هل

يمكنني أن أفحص القطار الذى كان فيه المسافر الذى شهد بسماعه صدمة جسم على الخط الحديدى ؟

فأجاب مندوب الشركة :

ـ أخشى أن يكون هذا متعذرا يامستر هولمز . . فقد فصلوا المركبات من القطار عن بعضها البعض .

وقال المفتش ليستراد :

ـ أستطيع أن أؤكد لك يامستر هولمز انى فحصت جميع المركبات بعناية تامة . . وقمت بهذا العمل بنفسى .

وكان من عادة صديقى شرلوك هولمز أنه سريع التبرم بغباوة من يزعمون أنفسهم أذكيا . . نابغين . . فقال على الفور :

ـ يجوز . . يجوز . . ولكن المركبات التى أريد فحصها هى غير المركبات التى فحصتها أنت :

ثم تحول نحوى وقال :

ـ لقد انتهى بحثنا هنا ياواطسن . . فهيا بنا . . ولن نزعجك بعد ذلك يامستر ليستراد . . أما الآن فسوف أذهب إلى (ولويتش) لمتابعة البحث .

* * *

حين بلغنا « محطة جسر لندن » أرسل هولمز برقية إلى أخيه مايكروفت أطلعنى عليها .

وكان هذا نصها :

« لاح لى قبس فى الظلام . . ولكنه قد يخبو . . أرجوك أن ترسل مع رسول خاص إلى منزلى بشارع بيكر . . قائمة كاملة بأسماء الجواسيس الأجانب الموجودين فى انجلترا مع عناوينهم » .

« شرلوك هولمز »

* * *

وقال هولمز يحدثنى وقد استوعينا على مقاعدنا فى القطار المسافر بنا إلى (ولويتش) :

ـ ستفيدنا هذه القائمة ياواطسن فائدة جليلة . . والواقع إنى مدين لأخى مايكروفت . . فقد مهد لنا السبيل إلى هذه القضية الفذة . . الشائقة .

* * *

كان وجهه ينم عن شدة الاهتمام . . والنشاط الخارف .

وكانت عيناه تدلان على أنه وقع على ظروف جديدة . . مهدت أمامه ميدانا جديدا للبحث .

وخيل إلى . . وأنا أنظر إليه . . أنى أرى كلبا من كلاب الصيد انتصب على قوائمه . . ورفع اذنيه . . وتهيأ للوثوب فى إثر الفريسة .

لقد كان هولمز . . فى تلك اللحظة . . متحمزا للنضال . . فلو أن شخصا رآه . . لأنكر أنه الرجل الذى كان فى غرفته

صباحا . . قلقا منزعجا . . يشكو الركود . . والخمول .

* * *

واستطرد هولمز قائلا :

ـ عندى الآن ما أركن إليه فى أبحاثى . . ويؤسفنى أن (غباوتى) فوتت على ادراك جميع الاحتمالات الممكنة للأمر قبل ذلك .

فقلت معقبا :

ـ ولكن الأمر . . مع هذا . . لا يزال يبدو فى نظرى غامضا . . مبهما .

ففكر لحظة . . ثم قال . .

ـ ان النهاية لاتزال . . فى عينى أنا أيضا . . يكتنفها الظلام الدامس . . ولكنى وفقت إلى فكرة أعتقد انها ستنتهى بى إلى الحقيقة المنشودة . . لقد مات كادوجان وست فى مكان آخر . . ثم وضعت جثته فوق سطح أحدى المركبات .

وهتف فى دهشة :

ـ فوق سطح أحدى المركبات ؟ ! ماذا تقول ياهولمز ؟

فابتسم . . واسترسل يقول موضحا فكرته :

اليست فكرة بديعة ؟ تدبر معى الوقائع التى لدينا :

أهى مجرد صدفة أن تكون الجثة فى نفس النقطة التى يهتز بها القصار . . ويتارجح عند « مجمع الخطوط الحديدية » . .



وعند انعطاف المنحنى ؟

أليست هذه النقطة هي المكان الذى ينتظر أن يقع عنده شيء يوضع على سطح المركبة التى سحبها القطار ؟

وهناك مسألة أخرى . . مسألة الدم . لقد عرفنا أنه لم تكن على الخط الحديدى آثار دماء . . فمعنى هذا أن الدماء التى نزفت من الجراح إنما نزفت فى مكان آخر . .

أذن . . لو جمعت بين هاتين الواقعتين كان لك أن تستنتج منهما ما يؤيد النظرية التى افترضها .

قلت له فى حماس وانفعال :

ـ واختفاء التذكرة من العوامل التى تؤيد نظريتك أيضا . . فقد اختفيت لا لأنها سرقت أو سقطت . . وإنما لأن القتيل لم يستقل القطار منذ مبدأ الأمر .

فقال هولمز مؤمنا على كلامى :

ـ تماما ياواطسن . . لقد عجزنا فى البداية عن تعليل اختفاء التذكرة . . أما الآن فنظريتى هى التعليل البسيط . . المعقول . . وجميع الوقائع تتوافق . . وتنسجم معه .

فقلت متسائلا :

ـ ولكن إذا صحت هذه النظرية فلا زال اللغز غامضا إذ لم تصل بعد إلى إماطة اللثام عن السر فى موته . . ويخيل إلى أن المسألة زادت تعقيدا .

فتمتم هولمز وهو غارق فى التفكير :

- ربما . . ربما .

ثم لزم الصمت . . واعتمد رأسه على راحة يده . ولم يتكلم حتى بلغ القطار « محطة ولسويتش » . . فاستدعى مركبة . . وأخرج من جيبه الورقة التى دون عليها مايكروفت هولمز البيانات المختلفة التى جمعها . . ثم قال لى :

- سنقوم بزيارات قليلة . . فهل أنت على استعداد لمرافقتى ؟

سيكون سير جيمس بطبيعة الحال أول من نذهب إلى مقابلته .

* * *

وكان منزل الخبير الحربى الشهيد مشرفا على ضفاف نهر التايمز . . فلما بلغناه كان الضباب قد بدأ ينقشع عن الأرض . .

وخرج إلينا رئيس الخدم بعد أن قرعنا الجرس . . فسألناه عن سيده . . فأجابنا وفى وجهه امارات الحزن :

- كم يؤسفنى ياسيدى أن أقول لك أن سير جيمس قد مات هذا الصباح ! !

* * *

هتف هولمز فى دهشة :

- يا إلهى . . كيف مات ؟ !

فقال رئيس الخدم :

ـ تفضلا بالدخول . . إن أخاه الكولونيل فالنتين موجود . . ويمكنكما مقابلته . . والتحدث إليه .

فغمغم شرلوك هولز في صوت خافت :

ـ نعم . . نعم . . هذا خير ما ينبغي أن نفعل في مثل هذه الظروف .

* * *

وقادنا رئيس الخدم إلى قاعة الاستقبال . .

وبعد لحظات دخل علينا كهل . . طويل القامة . . وسيم الوجه . . ذو لحية صغيرة . . يدل مظهره على أنه بلغ الخمسين من العمر . . وكان في شعره المشوش . . ووجنتيه المبللتين . . وعينيه الحمراوين . . ما ينبئ بما تركت في نفسه هذه الصدمة الأليمة . . الفجائية التي تلقاها بموت أخيه . .

وحين تكلم كان صوته ناطقا بالحزن . . نابضا بالأسى .

قال يخاطبنا وهو مطرق الرأس :

ـ لقد مات بسبب هذه الفضيحة الشنيعة . . أن أخي سير جيمس رجل شديد التمسك بالشرف والكرامة . . وما كان ليحتمل مثل هذا الحادث . . لقد سحق قلبه ما وقع . . كان دائما فخورا . . مزهوا بمكتبه . . وبما استحدثه فيه من نظام جديد . . دقة . . فوقعت هذه الصدمة على رأسه وقوع

الصاعقة .

فقال شرلوك هولمز بعد أن تمتم بصع كلمات معزيا :

ـ كنا نرجو أن يمدنا بمعلومات تميط اللثام عن هذا السر الغامض . . الغريب . .

فقال الكولونيل فالنتين :

ـ أؤكد لك ياسيدى أن الأمر بالنسبة اليه إن لغزا مستغلقا شأنه بالنسبة الينا . . ولقد أدلى إلى البوليس بكل مالديه من المعلومات . . ولم يكن لديه شك فى خيانة كادوجان وسن . . ولكنه . . فيما عدا ذلك . . لم يكن يعلم من الأمر شيئا . . ولا يدرى له تعليلا .

فنظر اليه هولمز وقال :

ـ أليس فى وسعك ياسيدى أن تلقى ضوءا على ماحدث ؟

فقال الرجل على الفور :

ـ الواقع انى لا أعرف عن الحادث إلا ما قرأت أو سمعت . .

ثم أردف على الفور قائلا :

ـ انى لا أحب يامستر هولمز أن أبدو قليل المجاملة . . ولكنك تدرك بطبيعة الحال إنى فى غاية الانشغال الآن . . فرجائى إليك أن تبادر بانهاء هذه الزيارة .

* * *

ولما احتوتنا المركبة قال هولمز :

ـ الحق أن هذا تطور جديد لم يكن منتظرا . . وانى أسائل نفسى الآن عما إذا كان سير جيمس قد مات ميتة طبيعة . . أو انتحر . . فإذا كان موته انتحارا . . فهل يمكن أن يؤخذ هذا دليلا على شعوره بتقصيره في أداء واجبه ؟

ومع ذلك . . فيحسن بنا أن نرجىء جوانب هذه المسألة إلى فرصة أخرى . . والآن هيا بنا إلى منزل كادوجان وست .

* * *

وكان بيت الشاب التعس واقعا في ضواحي المدينة . وتقيم فيه أمه المكروبة .

وكانت المرأة العجوز على حال من الحزن والذهول استحال معها علينا أن نستخرج منها معلومات ذات شأن .

وكانت في رفقتها فتاة شاحبة الوجه قدمت الينا نفسها باسم الانسة فيوليت وستبرى . خطيبة الشاب القتيل . . وآخر شخص رآه ليلة الحادث المشئوم .

* * *

قالت الفتاة مخاطبة صديقي هولمز :

ـ أستطيع يامستر هولمز أن أوضح لك الأمر . . وأؤكد لك أنه لم يغمض لي جفن منذ وقعت المأساة . . لقد كنت طيلة الليل والنهار فريسة للتفكير . . والخواطر المزعجة .

ان عهدى بآرثر أنه شهم . وطنى . . ليس على الأرض من

هو أشرف منه . . أو أشد إخلاصا للوطن . . وإنى لموقنه انه أهون عنده أن تبتر يده من أن يبيع سرا أؤتمن عليه من أسرار الدولة . . إن توجيه التهمة إليه لا ينطوى على شىء من الانصاف . . والذين عرفوه لايكتمون إنكارهم . . واستنكارهم .

فقال شرلوك هولمز :

ـ ولكن مارأيك ياآنسة وسنبرى فى الحقائق الثابتة ؟

فأجابت فى صراحة :

ـ هذا صحيح . . والواقع أنى لا أستطيع تعليل الأمر !!

فعاد هولمز يسألها :

ـ هل كان ى حاجة إلى المال ؟

ـ كلا . . فمطالبه محدودة . . ومرتبة كاف . . ولقد أدخر بضع مئات من الجنيهات . اذ كنا قد عقدنا العزم على الزواج فى رأس السنة الجديدة .

ـ ألم تلاحظى عليه يا أنسة وستبرى شيئا من الاضطراب أو الانفعال ؟ انى ألح عليك بان تصارحيننا القول . . ولا تكتمى أمرا دوننا .

ألقى اليها صديقى بهذه الكلمات . . ولم يغب عن عينه النفاذة ما عرى وجهها من التغيير حين وجه اليها سؤاله . .

وأحمر وجه الفتاة وقال فى شىء من التردد :

ـ حسنا . . سأصارحك القول . . ولا أخفى عنك شيئا .
ثم أردفت بعد سكتة قصيرة :
ـ نعم . . لقد لاحظت عليه ما يدل على أن فى ذهنه شيئا خفيا يشغل باله .
فسألها هولمز فى اهتمام :
ـ ومتى كان ذلك ؟
ـ منذ اسبوع . . فقد كان يبدو . . على خلاف عادته . . قلقا . . شارد الذهن . : وفى ذات مرة ألححت عليه بالسؤال . . فلم ينكر أن هناك شيئا يزعجه . . وأن هذا الشىء علاقة بعمله الرسمى . . وقال لى بالحرف الواحد :
« ان الامر أخطر من أفضى به حتى اليك أنت »
فسكت على مضض . . وعجزت عن انتزع منه شيئا .
فقال هولمز فى لهجة تدل على مزيد من الاهتمام :
ـ استمرى فى حديثك ياآنسة وستبرى . . استمرى حتى ولو تحدثت بما يمكن أن يتخذ دليلا ضده . . فاننا على أجية حال لا نستطيع أن نعلم ما يمكن أن يستنتج من هذه المعلومات .
واسترسلت الخطيبة التعسة فى حديثها قائلة :
ـ الواقع أنه ليس لدى ما أضيف على ما قلت اكثر من أنه لاح لى مرة أو مرتين أنه وشيك بأن يفضى إلى بمايكتم . . وفى ذات مساء حدثنى عن خطورة السر . . وأذكر أنه أشار فى إيجاز

واقتضاب إلى أن الجواسيس الأجانب لن يترددوا فى دفع مبلغ جسيم لاقتناص هذا السر .

وتضاعف اهتمام هولمز فسألها بلهفة :

ـ هل هناك شيء آخر ؟

فأجابته وهى تحاول أن تتذكر نفس كلمات خطيبها :

ـ لقد قال اننا . . نحن الانجليز . . قوم مهملون . . قليلو الحرص . . والحذر . . ومن السهل على أى خائن أن يسرق « رسوم التصميمات » .

ـ وهل كانت هذه الأحاديث العابرة حديثة العهد ؟

ـ نعم . . حديثه جدا .

فسكت هولمز لحظة . . ثم قال :

ـ والآن حدثينا عن المساء الأخير .

فقالت فى شرود :

ـ اتفقنا على الذهاب الى المسرح . . وكان الضباب كثيفا الى درجة تجعل ركوب المركبة لا نفع فيه . . فآثرنا اذ نتمشى . . ومررنا فى طريقنا بمكتب عمله . . وعلى حين فجأة تركنى . . وأسرع مبتعدا عنى حتى توارى فى الضباب .

وصمتت الآنسة وستبرى لحظة . . فسألها هولمز :

ـ وهل انصرف دون أن يحدثك بكلمة واحدة ؟

فأجابت فى مرارة . . وأسى :

ـ لقد أطلق في صدره آهة تدل على الدهشة والاستغراب . . ثم ابتعد . . وكان هذا هو كل شيء . . وقد وقفت في مكاني انتظر رجوعه . . ولكن بغير جدوى . . فعدت إلى داري . .

وفي صباح اليوم التالي . . بعد أن فتح المكتب أبوابه . . أقبل رجال البوليس لاستجوابي . . وعند الظهر سمعت بالنبأ الأليم .

وصمتت الفتاة وقد فاض بها الألم . . ولم تلبث أن تحدثت في حرارة . . وانفعال :

ـ ليتك تستطيع يامستر هولمز أن تعيد شرفه . . لقد كان شديد التمسك بالشرف . . وإن كان قد مات . . فإنني لا أحب أن يموت شرفه معه .

فوعدها هولمز بأن يبذل قصارى جهده في سبيل ذلك . . ثم التفت نحوي . . وقال لي ـ تعالى ياواطسن فإننا سوف نتمم أبحاثنا في مكان آخر . . يجب أن نزور المكتب الذي سرقت منه الأدوات .

* * *

وقال هولمز يحدثني . . والمركبة منطلقة بنا :

ـ كان الموقف سيئا بالنسبة إلى الشاب المسكين . . وما أفضت تحرياتنا إلا إلى زيادة موقفه حرجا . . ومن الطبيعي . . وهو في مثل هذه الظروف . . أن يكون في حاجة إلى المال .

ويظهر أن الفكرة كانت مستقرة فى ذهنه . . مادام قد تحدث إلى خطيبته عن سهولة سرقة الأوراق . . وإمكان بيعها . . مسكين هذا الشاب . . انه حقا سيء الحظ .

فقلت معترضا :

ـ ولكن . . أليس للخلق أثر على تصرفات الانسان . . لقد شهدوا له بالوطنية . . والامانة . . والنزاهة . . فهل يمكن أن يكون فى ذلك ما يبعد عنه الشبها . . وما الذى يدعوه إلى أن يبتعد فجأة عن خطيبته . . فينطلق إلى المكتب ليرتكب جريمته ؟

ففكر هولمز لحظة . . ثم قال :

ـ صدقت ياواطسن . . لا أنكر أن هناك بعض الاعتراضات . . ولكن الأمر مع هذا لا يزال غامضا . . وأحسب اننا ازاء قضية من أغرب قضايا الجاسوسية !!



الفصل الرابع



حيرة وغموض

استقبلنا مستر سيدنى جونسون . . رئيس الكتبة باحترام شديد . . فإن بطاقة صديقى كانت كفيلة دائما بأن تحمل الناس على احترامنا .

* * *

وكان رئيس الكتبة كهلا . . نحيف البنية . . يضع على عينيه نظارة سميكة . . ووجهه هزيل . . وحركاته عصبية تدل على أنه عانى من متاعب واضطرابات عصبية خلال الأيام القليلة الماضية .

* * *

وقال الرجل فى تأثر . . وانفعال :

ـ هذا أمر يؤسف له يامستر هولمز . . يؤسف له جدا . . هل سمعت بموت مديرنا ؟

فأجاب هولمز هدوء :

ـ انى قادم الآن تواً من منزله .

فهتف الرجل :

ـ ليت شعرى . . أية نكبة حلت بنا . . مات مديرنا . . ومات كادوجان وست . . وسرقت الرسوم . . ومع ذلك . . حين أغلقنا أبواب المكتب بعد ظهر يوم الأثنين الماضى . . لم يخطر ببال أحد منا أن هذه النكبات وشيكة على الوقوع . . ياإلهى . . ان الأمر شديد . . والكوارث تجل عن العزاء . . وست يفعل

ذلك دون الرجال أجمعين ؟ !

فسأله هولمز :

ـ أذن . . أنت موقن من جرمه ؟

ـ وهل للمسألة وجه آخر غير هذا . . ألم يعثروا على الأوراق فى جيبه ؟ ومع ذلك فقد كنت أثق به كما أثق بنفسى .

ـ فى أية ساعة أغلقت أبواب المكتب فى يوم الأثنين ؟

ـ فى الساعة الخامسة .

ـ وهل أغلقتها بنفسك ؟

ـ انى دائما آخر رجل يغادر البناء .

ـ واين كانت الرسوم ؟

ـ فى هذه الخزانة . . وأنا الذى أودعتها بنفسى .

ـ أليس لهذا البناء حارس يسهر على مراقبته ؟

ـ له حارس . . ولكنه يتولى الاشراق على الأبنية الأخرى المتصلة به . . وهو جندى قديم . . وأهل للثقة . . وقد قرر أنه لم يشاهد ما يلفت النظر . . أو يثير الريبة . . ولست استغرب هذا . . فقد كان الضباب كثيفا .

فقال شرلوك هولمز بعد لحظة من التفكير :

ـ لنفرض أن كادوجان وست أراد أن يدخل المكتب بعد انتهاء ساعات العمل . . فهو إذن فى حاجة إلى ثلاثة مفاتيح مصطنعة قبل أن يضع يده على الأوراق ؟

- نعم . . مفتاح للباب الخارجى . . ومفتاح لباب المكتب . . ومفتاح هذه الخزانة .

- وهذه المفاتيح لا يحملها أحد سواك . . وسوى سير جيمس والتر .

- انى لا أحمل مفاتيح الأبواب . . وانما معى فقط مفتاح الخزانة .

فنكر هولمز مرة أخرى . . ثم استطرد يسأله :

- أخبرنى . . هل السير جيمس رجل منتظم العادات يسيء على نظام ثابت ؟

- أعتقد ذلك . . وأرجح أنه يعلق هذه المفاتيح الثلاثة فى حلقة واحدة .

- هل ذهب إلى لندن ومعه هذه الحلقة ؟

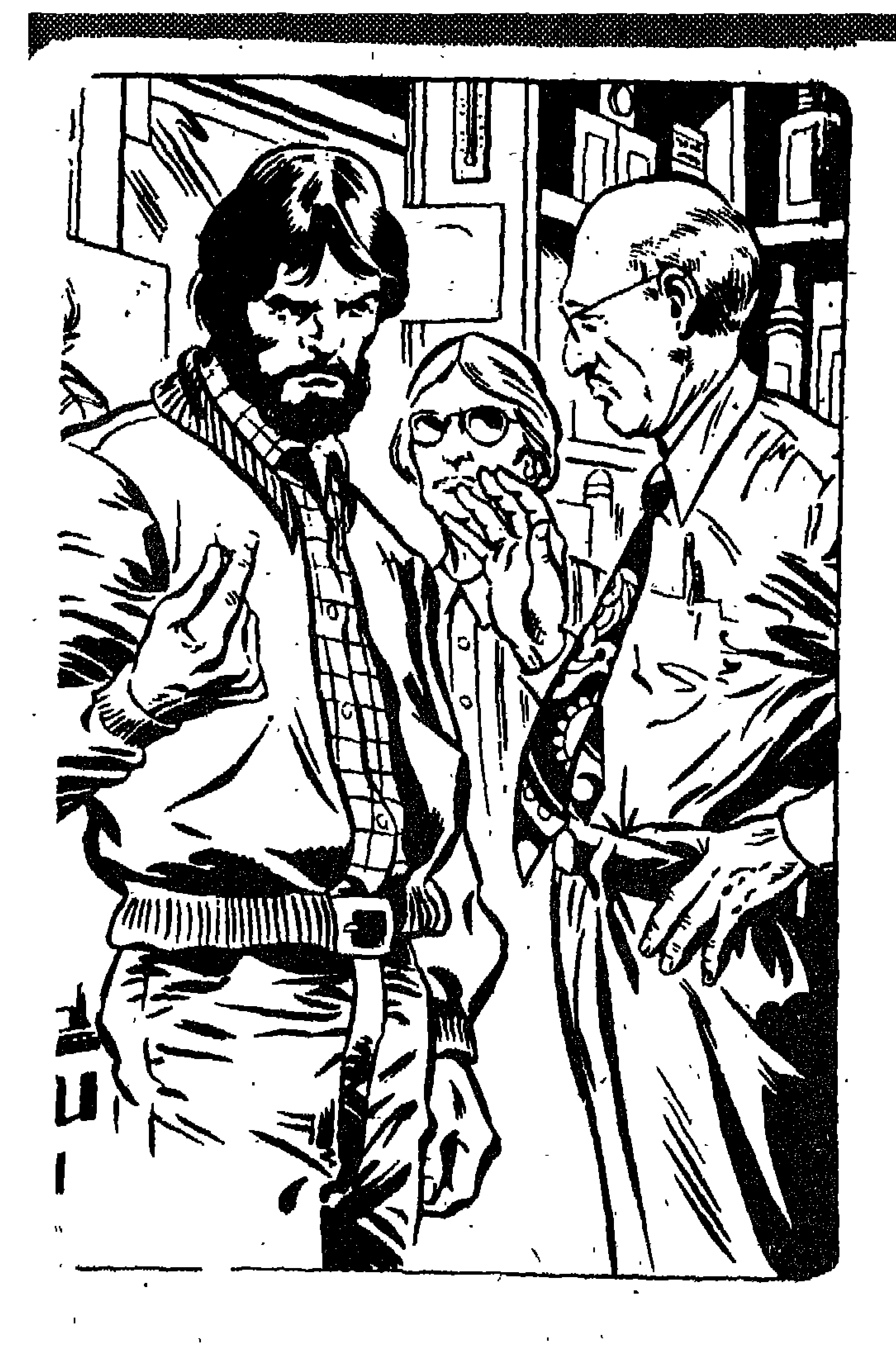
- لقد قرر ذلك قبل موته .

- ومفتاحك . . ألم يفارق جيبك ؟

- كلا بالتأكيد .

فقال شرلوك هولمز :

- معنى ذلك أن وست اصطنع مفاتيح مقلدة اذ كان هو الجانى . . ومع ذلك لم يعثر البوليس فى جيوبه على أى مفتاح . . ثم أن هناك مسألة أخرى : إذا كان فى هذا المكتب كاتب خائن يريد أن يبيع الرسوم . . أفليس الأولى به أن ينقل



صورة منها بدلا من أن يسرق الرسوم الأصلية .. فيعرض نفسه للخطر . . أن فى وسعه أن ينقل الصور يوما بعد يوم دون أن يستريب أحد فى أمره . . أليس كذلك ؟

فأجاب رئيس الكتبة :

ـ أن نقل هذه الصور ليس من السهولة بالدرجة التى تتصورها يامستر هولمز . . إذ يستحيل نقلها إلا على من كان ذا المام فنى بالعمل .

ـ ولكنى كنت أظن أن وست . . وسير جيمس . . وكذلك أنت . . على إلمام فنى كاف ؟

فهز مستر سيدنى جونسون كتفيه . . وقال :

ـ وما الداعى يامستر هولمز إلى التعلق بهذه الفروض . . والأمر واضح . . لا يحتاج إلى ذليل . . ألم يعثروا على الرسوم الأصلية فى جيوب وست ؟ أليس فى هذا الدليل الكافى عى جرمه ؟

فقال هولمز :

ـ ولكنى . . مع هذا . . لازلت استغرب إقدامه على سرقة الرسوم الأصلية . . وهو يستطيع ـ بحكم عمله ـ أن ينقل صورة منها . . وفى هذه الصورة كل المطلوب . . فضلا عن انها لا تعرضه للخطر .

فقال رئيس الكتبة مؤمنا :

ـ ان الأمر يبدو غريبا كما تقول . . ولكنه مع ذلك أقدم على

سرقة الأوراق الأصلية .

فشرد هولمز بفكره لحظة ثم قال :

ـ ان كل خطوة نخطوها فى بحثنا تتكشف عن نقطة جديدة . . معقدة . . والآن . . فلننتقل إلى مسألة أخرى . . قيل أن هناك ثلاث أوراق ناقصة . . وقد فهمت انها من أهم الأوراق الأصلية .

ـ هذا صحيح ياسيدى .

ـ هل لى أن أفهم من هذا أن فى وسع من تقع هذه « الأوراق الثلاث » فى يده أن يبنى الغواصة دون أن تكون لديه الأوراق الأخرى السبع ؟

فأجاب ما خطر لى فى أول الأمر . . ولكنى رجعت اليوم إلى الرسوم . . ودرستها من جديد . فلاح لى أنى تسرعت فى ابداء هذا الرأى . . ذلك أن بين الأوراق التى استعدناها رسم خاص بالصمامات الأوتوماتيكية التى تتحرك من تلقاء نفسها . . وهو اختراع جديد لم يوفق إليه أحد غيرنا من العلماء بعد . . وبدونه يستحيل بناء غواصة صالحة للعمل . . وان كان منتظرا أن تذلل هذه العقبة فى وقت قصير .

ـ اذن . . فالرسوم الثلاثة الناقصة هى أكثر الرسوم أهمية . . وخطورة ؟

ـ هذا لا ريب فيه

ـ حسنا . . اسمح لى أن أجوب قليلا فى البناء لأدرس موقعه . . ومساكنه . . وأحسبنى لست فى حاجة إلى أن أوجه اليك أسئلة أخرى

ـ شكرا لك ياسيدى . . تفضل من هنا .

* * *

فحص هولمز قفل الخزانة . . وباب الغرفة . . وأخيرا المصاريع الحديدية للنافذة . . على أن الاهتمام لم يظهر على وجهه إلا حين هبطا إلى الحديقة . . ونمت أساريره عن الانفعال الشديد .

كانت تحت النافذة شجيرات صغيرة . . مهصورة بعض أغصانها مما يدل على أنها أزيحت أو وطئت بالأقدام . . ففحصها هولمز فحصا دقيقا . . واستعان فى ذلك بعدسته المكبرة . . كما فحص آثارا باهتة كانت بادية على الأرض . . عند الشجيرات .

ثم طلب إلى رئيس الكتبة أن يغلق المصاريع الحديدية للنافذة . . ولفت نظرى إلى أنها لا تنطبق من الوسط . . مما يجعل من السهل على من عان فى الخارج أن يرى ما يجرى فى الداخل من خلال الانفراج الذى بين المصراعين .

والتفت هولمز نحوى وقال :

ـ إن تأخر التحقيق ثلاثة أيام قد أفسد الآثار التى كانت

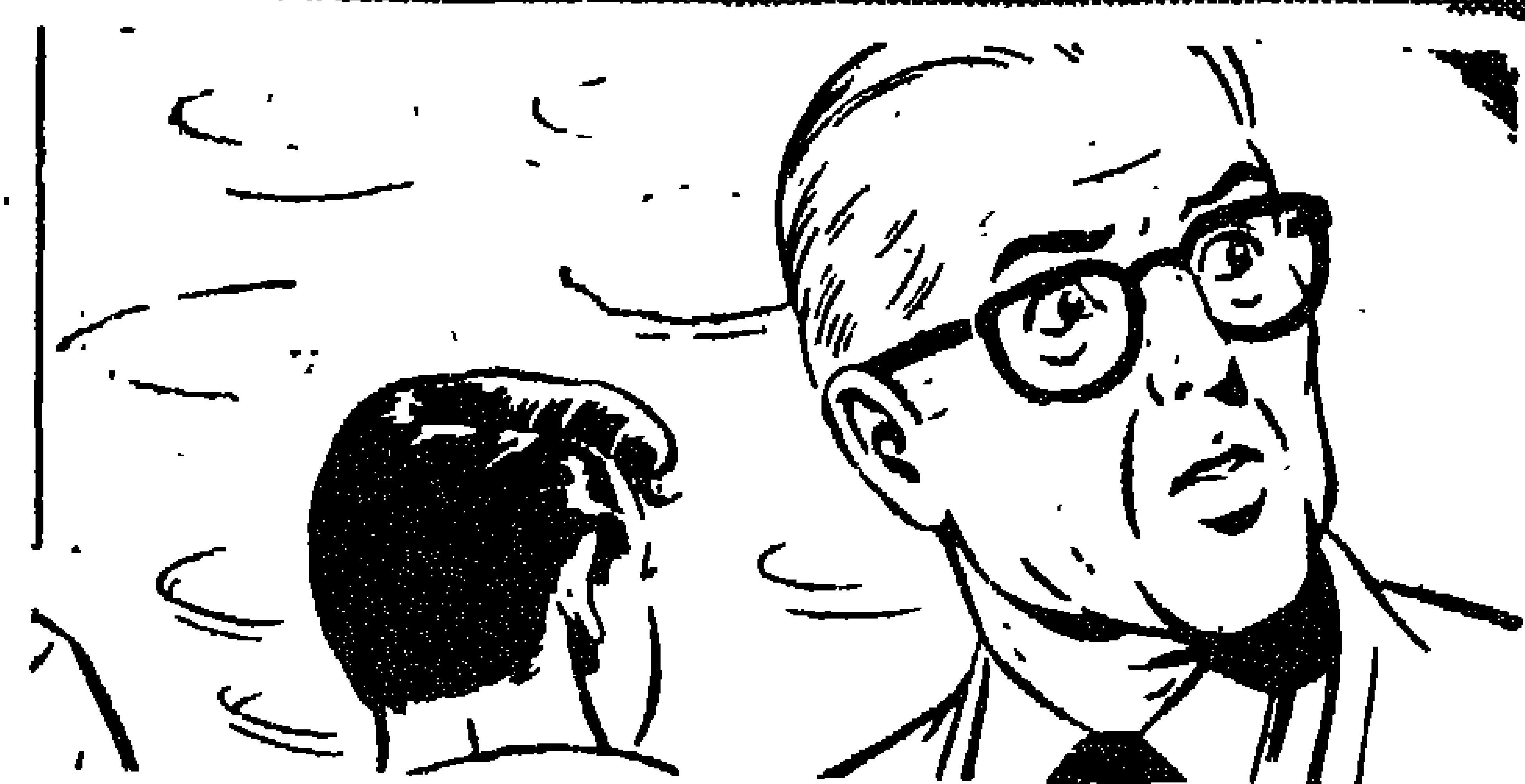


موجـودة . . وكـان محتمـلا أن نجـد فى هذه الآثـار ما يهون البحث . . كما كان محتملا ألا نجد فيها شيئا . . وأظن انه ليس ثمة مايدعونا إلى البقاء فى (ولويش) . . إذ لن نجنى شيئا من بحثنا هنا . . وما إكتشفناه حتى الآن أقل مما يبغى . . فلنعد إلى (لندن) فقد نكون هناك أكثر توفيقا .

* * *

وقبـل أن نغـادر « محطة ولـويتش » تزودنـا بمعلومـات جديدة . . فقد أكد لنا قراض التذاكر الواقف بباب المحطة أنه رأى كادوجان وست ـ وله به معرفة وثيقة ـ فى مساء يوم اثنين وقد استقـل القـطار المسافر إلى (لندن) . . وكان وحده . . وقد ابتاع تذكرة فى الدرجة الثالثة .

وأنبأنا القراض ان اضطراب كادوجان لفت نظره . . وأثار فضوله . . فقد كان مرتعد اليدين إلى درجة عجز معها عن أن يتنـاول بقية نقـوده . . فكـانت القطع الفضية تفلت من بين



أصابعه . . فجمعها القراض وهو دهش مذهول . . ودسها فى يد كادوجان وست !!

* * *

وبالرجوع إلى جدول مواعيد القطارات اتضح لنا أن قطار الثامنة والربع هو أول قطار يمكن أن يستقله وست بعد مغادرته خطيبته فى الساعة السابعة والنصف .

* * *

وبعد نصف ساعة صمت هولمز فى خلالها . . ولم ينطق بكلمة واحدة . . تحول نحوى فجأة وقال :

لنعد ياواطسن إلى مالدينا من الحقائق . . يلوح لى اننا لم نصادف من قبل قضية أشد تعقيد من هذه القضية . . فما نكشف منها واقعة جديدة إلا انطوت على لغز جديد يستغلق على الافهام . . وان كان من المؤكد اننا قطعنا فى سبيل النجاح مرحلة كبيرة . . ان نتائج التحريات التى قمنا بها فى

(ولويتش) تؤيد التهمة الموجهة ضد كادوجان وست . . ولكن الآثار التي تكشفت لى عند النافذة يمكن أن تكون أساسا لفرض جديد فى صالحه . . فلنفرض مثلا أن هناك جاسوسا اجنبيا اتصل به . . وأغراه بسرقة الأوراق . . ولنفرض أنه نبذ هذا العرض الدنىء . . ورد الجاسوس خائبا . . ولكنه لم يبلغ الأمر للبوليس إذ يحتمل أن يكون الجاسوس قد طلب منه الكتمان قبل أن يصارحه بغرضه . . فاضطر كادوجان وست إلى البر بقسمه . . فلم يكشف حقيقة الجاسوس لولاة الأمور . . ولعل هذا هو السبب فى أنه كتم الأمر حتى عن خطيبته .

والآن . . فلننتقل إلى الخطوة التالية . .

كان كادوجان وست ذاهبا إلى المسرح فى رفقة خطيبته . . فمرا بالمكتب . . وفجأة . . لمح كادوجان الجاسوس الأجنبى متجها إلى المكتب . . متسترا بالضباب . .

وكادوجان وست ـ كما علمنا ـ سريع الانفعال . . حاد الخلق . . فما أن رأى الجاسوس حتىء حفزه الواجب إلى العمل السريع . . الحاسم . . فتبع الرجل . . واقترب من النافذة . . ونظر إلى داخل الغرفة من خلال الانفراج الذى بين المصراعين الحاديدين .

ورأى الجاسوس وهو يسرق الوثائق . . فاقتفى خطواته . . وهذه النظرية تفند تفنيدا كافيا الاعتراض الذي سبق أن

أبديناه . . وهو أن المعقول فى الأمر أن ينقل كادوجان وست صور الرسوم بدل من أن يسرق الاصول . . اذا كان هو السارق . . ومن هذا نفهم ان الاصول انها سرقت ولم تنقل . . لأن السارق شخص آخر . . غير كادوجان وست . . شخص لا يتسع له الوقت لنقل الصور .

والمفروض فى هذه الحالة أن يكون أول عمل لكادوجان وست أن يثب على الجاسوس السارق . . وينقض عليه . . ويصرخ مستنجدا . . ولكنه لم يفعل شيئا من هذا . . وانما اكتفى بأن يقتفى أثره فى صمت وسكون . . فلم فعل هذا ؟

يمكننا أن نقول جوابا على هذا السؤال أن من الجائز أن يكون السارق موظفا أعلى مرتبة من كادوجان أن نقول أن الموظف السارق استطاع ان يتوارى فى الضباب . . ويفلت من المراقبة . . فأسرع كادوجان إلى (لندن) ليسبقه إلى مسكنه . . وهذا طبعا مع افتراض انه يعرف مسكن السارق .

ومهما يكن من الأمر . . فإن الذى دعاه إلى هذا التصرف لابد أن يكون شيئا خطيرا . . والا لما ترك فتاته واقفة فى الضباب . . ولم يحاول أن يرجع إليها ليخطرها بأنه سيتركها . . وهنا تزداد المشكلة تعقيدا . . فهناك فجوة كبيرة بين هذه الفروض . . وبين العثور على جثة كادوجان وست ملقاة على قضبان السكة الحديد . . وفى جيبه سبع أوراق من الرسوم . .

أو بعبارة أخرى هناك فجوة كبيرة بين ذلك . . وبين وضع جثته فوق ظهر احدى مركبات القطار . . فاذا كان ما يكروفت قد زودنا بقائمة بقائمة الجواسيس الأجانب المقيمين فى (لندن) . . فقد يمكننا أن نكتشف شخصية الجاسوس الذى سرق الأوراق ..

* * *

وكانت القائمة المنشودة فى انتظارنا بمنزلنا فى « شارع بيكر » مع رسول خاص أوفده الينا مايكروفت هولمز . . فألقى شرلوك نظرة سريعة على القائمة . . ثم قرأ على رسالة أخيه . . وهذا نصها : « فى القائمة أسماء كثيرة لاحصر لها . . ولكن الشطر الأكبر منها لصغار الجواسيس وأقلهم شأنا . . وهذا عمل لا يقدم عليه الا كبارهم . . ولهذا أتجه بريبتى إلى ادولف ماير بالمنزل رقم ١٣ بشارع جورج الكبير فى (وستمينستر) . . ولويس لا روتيير بفيللا كامبدن فى (نوتينج هيل) . . وهيجو أو برستاين بالمنزل رقم ١٣ بحدائق كولفيلد فى (كنسنجتون) . . والثالث منهم كان موجودا ف (لندن) إلى يوم الأثنين الماضى . . ولكنه رجل طبقا لما جاء فى تقارير رجال البوليس .

« وانه ليسرنى ياشرلوك أن يكون قد لاح لك قبس من الضوء فى هذا الظلام الدامس . . فان رئيس الوزراة يتراقب

نتيجة أبحاثك فى همة وصبر نافد .. وقد أرسل جلالة الملك مندوبا عنه للاستفسار عما أفضت اليه أبحاثك .. أو بعبارة أخرى يمكننى أن أقول لك أن جميع رجال الدولة يترقبون فى أهتمام نتيجة عملك . .

والحكومة تضع فى يدك كل السلطة التى تطلبها للوصول الى الغاية المرجوة » .

« مايكروفت هولمز »

* * *

وابتسم شرلوك هولمز وقال :

ـ أخشى أن لا تكون هناك أية فائدة فى هذه السلطة التى تريد الحكومة أن تضعها فى يدى . . لأن جميع قوات الجيش والبوليس لن تغنى عن الأمر شيئا .

* * *

ونشر « خريطة لندن » فوق المنضدة . . وعكف عليها يدرسها . . ثم رفع رأسه وفى وجهه دلائل الارتياح . . وقال :

ـ أنك تعرف طبعا . . ياعزيزى واطسن . . أن بعض الخطوط التى تجرى تحت الأرض تخرج من الأنفاق عند « مجمع الخطوط » فى الجهة الغربية من (لندن) . . وأذكر ـ وإن لم أكن متأكدا ـ انى رأيت أثناء سفرى . . نوافذ بيوت مطلة فوق القطار مباشرة . . فلنفرض أذن أن القطار وقف . . أو أبطأ فى

تسير تحت احدى هذه النوافذ . . فلن يكون عسيراً أن توضع الجثة فوق سطح المركبة .

فقلت له معترضا :

ـ هذا تفسير بعيد الاحتمال .

وابتسم هولمز وقال لى موضحا :

ـ هل تعلم ياعزيزى واطسن المثل القديم الذى يقول « اذا أخفقت جميع الحلول . . وأعوزتك التفسيرات المقنعة فخذ التفسير الوحيد الذى لديك . . وان كان بعيد الاحتمال . . وثق انه التفسير الصحيح » . . ذلك لأن قلة الاحتمالات ليس معناها ان الأمر مستحيل التفسير . . يضاف إلى هذا ان منزل يطل على شريط السكة الحديدية . . فهل يكون مستحيلا أنه هو مرتكب هذه الجريمة ؟ . . وأن الجثة وضعت على سطح المركبة من إحدى النوافذ ؟

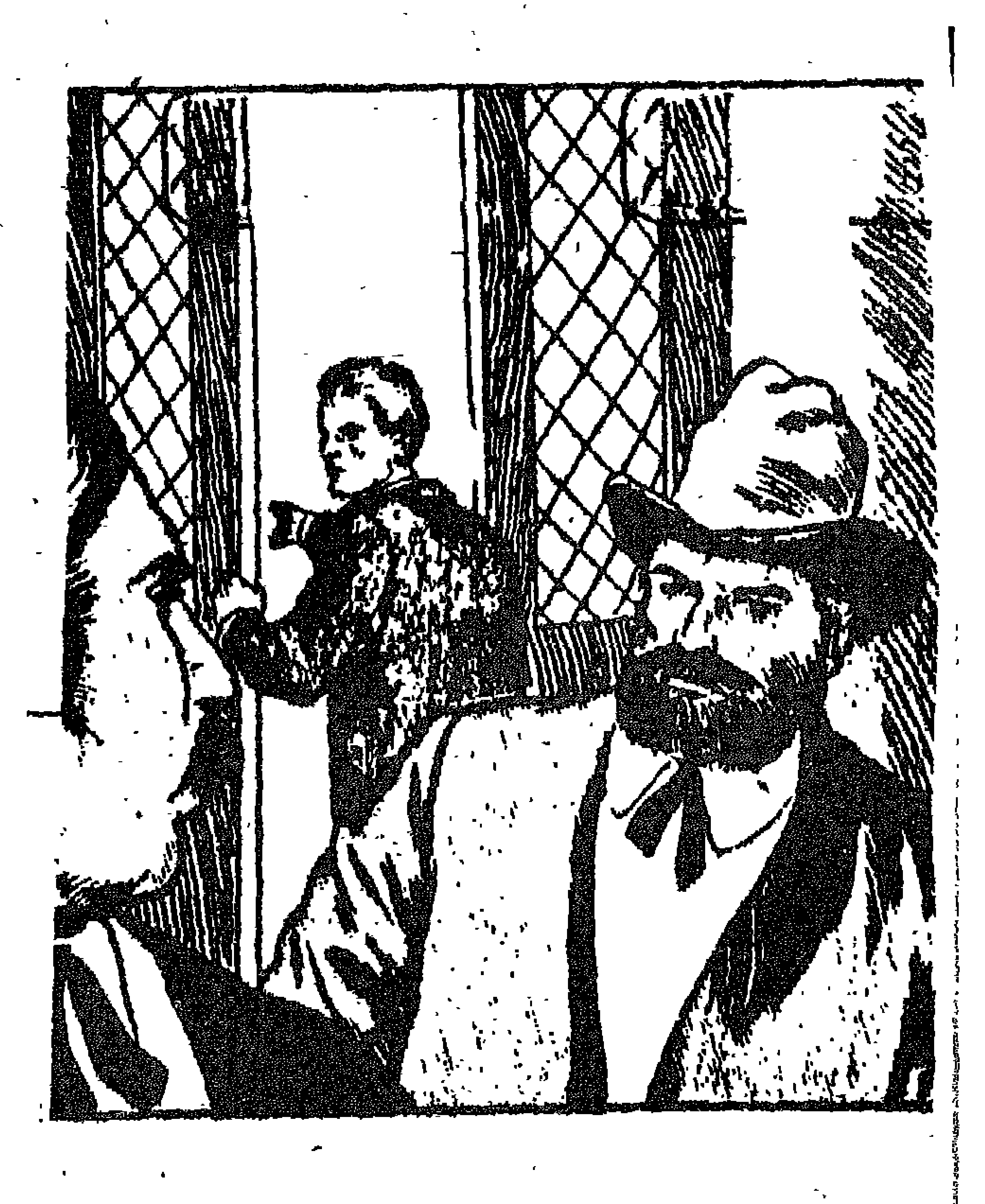
لقد استخفنى الطرب عندما اكتشفت ذلك . . ولعل أمرى يدهشك . . فهل عرفت السر الآن ؟

فهتفت قائلا :

ـ اذن فهذا السر ؟ !

فأجاب فى زهو :

ـ نعم ياصديقى . . ومنذ هذه اللحظة أصبح هيجو اوبرستاين هو ضالتى المنشودة وقد ذهبت إلى « محطة جلوشيستر »



وبصحبتي أحد الموظفين . . وسرنا على الخط الحديدى . .
فتأكدت أن نوافذ مبانى « حدائق كولفيلد » ـ حيث يقيم الجاسوس ـ تطل مباشرة على الخط الحديدى . . بل وعرفت أكثر من هذا . . عرفت أن قطارات الخطوط السفلية تقف عند هذه النوافذ بضع دقائق لاخلاء الطريق أمامها ريثما تمر القطارات الكبيرة التى قد تكون قادمة من أقصى البلاد .
ـ أحسنت ياهولمز . . أحسنت .
فقال فى صراحة :
ـ إلى حد ما ياواطسن . . إلى حد ما . . لقد تقدمنا كثيرا ولكننا لازلنا بعيدين عن الهدف .
ـ حسنا . . وماذا فعلت بعد ذلك ؟
ـ بعد أن فحصت الجهة الخلفية من المنزل . . عدت إلى مدخله . . فتأكدت أن الجاسوس فر هاربا . . طبقا لما جاء فى تقارير البوليس . . والمنزل كبير المساحة . . وغير مؤثث . . واوبرستاين يقيم فى الطابق الأعلى منه . . مع خادم واحد . . يحتمل جدا أن يكون شريكا له .
وهناك مسألة أخرى جديرة بالاهتمام ياواطس . . وهى ان اوبرستاين غادر (انجلترا) ليبيع الرسوم دون أن تكون لديه فكرة عن أن أمره قد انكشف . . وان البوليس قد زار مسكنه . . ولهذا سافر مطمئنا دون أن تخالجه ذرة واحدة من

الشك .

ـ ولكن ألا يمكننا أن تستصدر أمر بالقبض عليه ؟

ـ وهل لدينا دليل حاسم نبرر به استصدار هذا الأمر ؟

ـ إذن ما العمل ؟

ـ سنزور مسكنه خلسة . . فقد نعثر على أوراق ومكاتبات هامة يحتمل أن يكون الجاسوس قد تركها مكانها اطمئنانا منه إلى أنه فوق مستوى الشبهات حتى الآن . . لا سيما وأن فى نيته أن يعود ثانية إلى المنزل مادام يشعر بالأمان . . ولا يخشى شرا .

فتمتمت أقول :

ـ اسمح لى ياهولمز أصارحك بأنى لا أميل الى هذا السطو غير القانونى ! !

فقال يطيب خاطرى :

ـ كن مطمئنا ياصديقى . . إن مهمتك لن تعدو الوقوف فى الطريق للمراقبة . . أما أنا فساقوم بارتكاب (الجريمة) . . والمسألة يا واطسن أخطر من أن نتعلق فيها بالرسميات . . تذكر رسالة أخى مايكروفت . . ووزارة البحرية . . ورئيس الوزراء . . والملك الذى يترقب أنباءها باهتمام . . تذكر هؤلاء جميعا . . تعلم أن ذهابنا لا مفر منه .

وكان جوابى على ذلك أن نهضت واقفا وأنا أقول :

ـ اصبت ياهولمز . . لا مفر من ذهابنا .

فانبعث بدوره واقفا . . وهز يدى فى حرارة . . وقال :
ـ كنت أعلم أنك لن تتخلى عنى . .
ومرت لحظة خاطفة خيل الى فيها أنى رأيت فى وجهه بادرة من بوادر الحنان والرقة . . وفى اللحظة التالية استعاد ثباته المعهود . . وألقى سترا على ماخلجه من الضعف الانسانى .
وأخيرا قال لى :
ـ ان المنزل على مسافة نصف ميل من هذا المطعم . . ولكننا لسنا على عجل من أمرنا . . فلنذهب إليه سيرا على الأقدام . . وإياك أن تتخلص من الأدوات التى فى جيبك فهى الدليل الوحيد على انك لص . . والقبض عليك بهذه المهمة سيكون من حوادث التاريخ البارزة !!

* * *

كانت « مبانى » حدائق كولفيد » عبارة عن مجموعة من المنازل المشيدة على الطراز الفيكتورى . . وهى تقع فى الطرف الغربى الأقصى من مدينة لندن . .
ولاح لنا أن فى المنزل المجاور حفلة موسيقية للأطفال . . إذ كانت أصواتهم رفيعة . . حادة . . تنبعث من الداخل . . مصحوبة بعزف الموسيقى . . والضحكات الناعمة . . اللطيفة .
وكان الضباب لا يزال ناشرا لواءه على المدينة . . فأشعل

هولمز مصباحه الكهربائى . . وسلطه على الباب الضخم . . المتين .

والتفت هولمز نحوى قائلا :

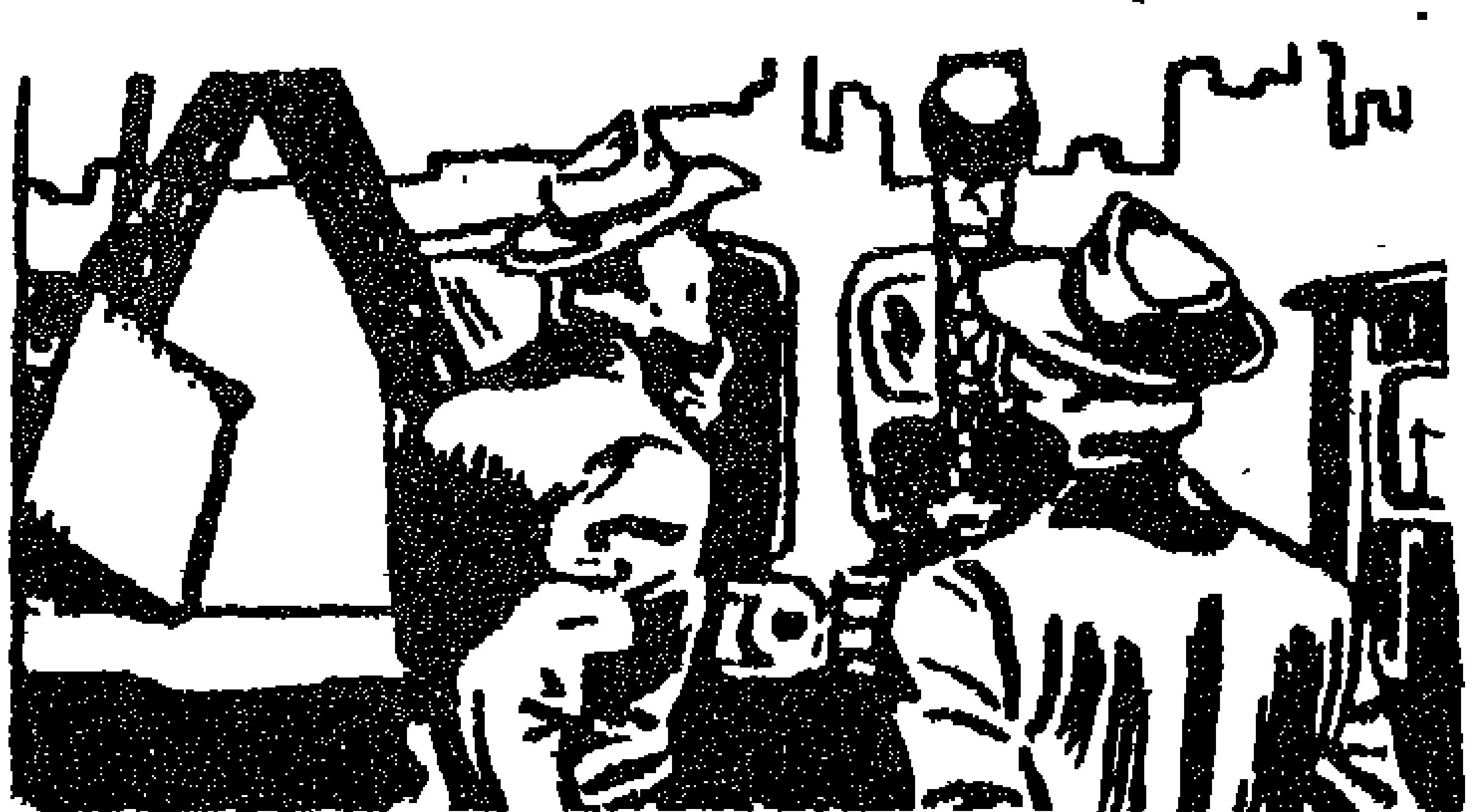
- ان المهمة ياواطسن أشق مما كنت أتصور . . فالباب موصد بالقفل . . ومزود بمزلاج ضخم . . والرأى عندى أن نتخطى السياج الى الحديثة . . فقد يكون الباب الداخلى أقل متانة من هذا الباب . . فهيا ساعدنى على الوثوب إلى الداخل .

***

واستقر هولمز فوق سطح السور . . ومد يديه فساعدنى على الصعود . . وما كدنا نثب إلى الداخل . . حتى سمعنا فى الخارج وقع خطوات شرطى يقترب من المكان .

ولما ابتعد وقع خطواته . . شرع هولمز يعالج الباب بالادوات التى جئته بها . .

وبعد دقائق انفتح الباب . . فوثبنا إلى البهو المظلم . . ثم أغلقنا الباب خلفنا .



الفصل الخامس

بيت الجريمة

أرسل هولمز ضوء مصباحه فى أرجاء المكان حتى استقر على نافذة فى صدر البهو . . فهتف بى قائلا :

ـ لا ريب أن هذه هى النافذة التى حدثتك عنها .

وما كاد هولمز يفتح النافذة حتى سمعنا دوى قطار يمر تحت النافذة . . ويبتلعه الظلام .

وكانت النافذة من الخارج ملوثة بهباب المداخن . . ولكن سطحها مع ذلك كان أقل سوادا فى بعض الجهات . . ولا أثر له فى جهات أخرى .

وقال هولمز يخاطبنى :

ـ هذه المواضع التى يقل فيها السواد هى التى وضعت الجثة فوقها . . ولكن ما هذا ياواطسن ؟ انها آثار بقع من الدماء بلا منازع . .

وأومأ بأصبعه إلى بقع باهتة اللون على سياج النافذة وقال :

ـ هذا دليل واضح يؤيد نظريتى . . فلنبق فى مكاننا هذا حتى يمر بنا أحد القطارات لنرى كيف تتم التجربة .

وما كنا فى حاجة إلى انتظار طويل إذا مالبثنا أن سمعنا دوى القطار . . ورأيناه يخرج من فوهة النفق . . ثم يتباطأ فى سيره . . ويقف دفعة واحدة تحت النافذة مباشرة .

وكانت المسافة بين النافذة . . وسطح أقرب مركبة إلينا . . لا تزيد على أربعة أقدام . . فأغلق هولمز النافذة . . والتفت إلى

- هاأنت ذا ياواطسون قد رأيت كيف تحققت نظريتى . . فما رأيك ؟

- أنك أعجوبة ياهولمز . . ونبوغك لم يتجل من قبل كما تجلى اليوم .

فهز هولمز رأسه نفيا . . وقال :

- لا أستطيع أن أجاريك فى رأيك هذا . . ففى اللحظة التى اعتقدت فيها أن الجثة وضعت على سطح المركبة كانت بقية الاستنتاجات منطقية واضحة . . ولم يخالجنى شك فى أن للجاسوس بيتا يقع على الخطوط الحديدية مباشرة . . ومبا كنت فى حاجة إلا إلى الدليل المادى الذى يدعم نظريتى .

ثم تنهد . . وقال :

- أنى لا استطيع أن أزعم اننا بلغنا من النجاح ما كنا نرجو . . إذ لا يزال الهدف الأكبر بعيدا عنا . . ولا زالت الصعوبات تعترض طريقنا . . ولكنى أرجو أن نجد فى البيت ما يمهد أمامنا سبيل البحث .

* * *

وهبطنا إلى الطابق الأول . . فألفينا أنفسنا فى قاعة للطعام لا تحتوى على ما يشير الاهتما . . .

ثم انتقلنا إلى الغرفة التالية . . وكانت مخدعا للنوم . . فلم



نجد فيها كسابقتها ما يلفت النظر .

أما الغرفة الثالثة فكانت ضالتنا المنشودة . . ولذا شرع هولمز بفحصها فحصا دقيقا . . منظما .

كانت أكوام الكتب . . وأكداس الورق . . متناثرة فى أرجائها وكان واضحا انها تستعمل بمثابة مكتب .

وأخذ هولمز يفتش أدراجها بعناية . . ويجوس خلالها محتويات الدولاب . . دون أن يعثر على ما يبدد التجهم الذى يعلو وجهه !!

* * *

وبعد ساعة كاملة من بحث دقيق قال صديقى :

ـ لقد عرف الخبيث كيف يمحو آثاره . . فلم يترك ما يؤيد التهمة ضده . . ولا شك أنه أعدم الرسائل المريبة . . أو حملها معه . . ومع ذلك فهذى هى فرصتنا الأخيرة . . فان أفلتت منا كغيرها . . فلا رجاء لنا بعد ذلك .

وتناول صندوقا صغيرا يستعمل لحفظ النقود . . وكان موضوعا على المكتب . . ففتحه بآلة خاصة . . فاذا هو محشو برزم من الأوراق . . حافلة بمجموعات مختلفة من الأرقام . . دون أن تكون هناك أية إشارة إلى نوعها . . أو لغاية منها . . وإن كانت ثمة عبارات قليلة توحى للذهن بأن لهذه الأرقام علاقة ببناء الغواصات مثل « ضغط الماء » ..

الضغط على البوصة المربعة » . . إلى غير ذلك .

* * *

ونحى هولمز هذه الأوراق فى شىء من نفاد الصبر . . ثم تناول مظروفا يحتوى على قصاصات من الصحف نثرها على المائدة . . وألقى عليها نظرة سريعة . . وعندئذ تبينت على الفور . . من أسارير وجهه . . أنه وقع على أثر جديد . . وأن رجاءه فى النجاح قد تضاعف .

وغمغم يقول :

ـ ما هذا ياواطسون ؟ خطابات متبادلة عن طريق الصحف . . اعلانات فى صحيفة « الديلى تلجراف » . . التواريخ غير ظاهرة . . ولكن السياق يدل على ترتيباتها . . وهذه هى الرسالة الأولى :

« أرجو أن أسمع نبأ جديدا عاجلا ـ قبلنا جميع الشروط ـ اكتب على العنوان الموجود فى البطاقة ـ بييرو » .

وهذه هى الرسالة التالية :

« وصفها صعب ومعقد وغير مفهوم ـ أريد تقديراً وافيا ـ الثمن سيدفع اليك على الفور بمجرد تسليم البضاعة ـ بييرو » .

أما الرسالة الثالثة . . فهذا نصها :

« الأمر مستعجل جدا ـ سأعدل عما أريد إذا لم تعجل بتنفيذ

التعاقد ـ أضرب لى موعدا فى رسالة تبعث بها ـ انتظر اعلان بالموافقة على الموعد ـ بيرو » .

وأخيرا الرسالة الآتية :

« مساء الاثنين بعد الثامنة ـ خبطتان على الباب ـ لن يكون هناك سوانا ـ لا داعى للخوف والريبة ـ الدفع نقدا بمجرد تسليم البضاعة ـ بيرو » .

* * *

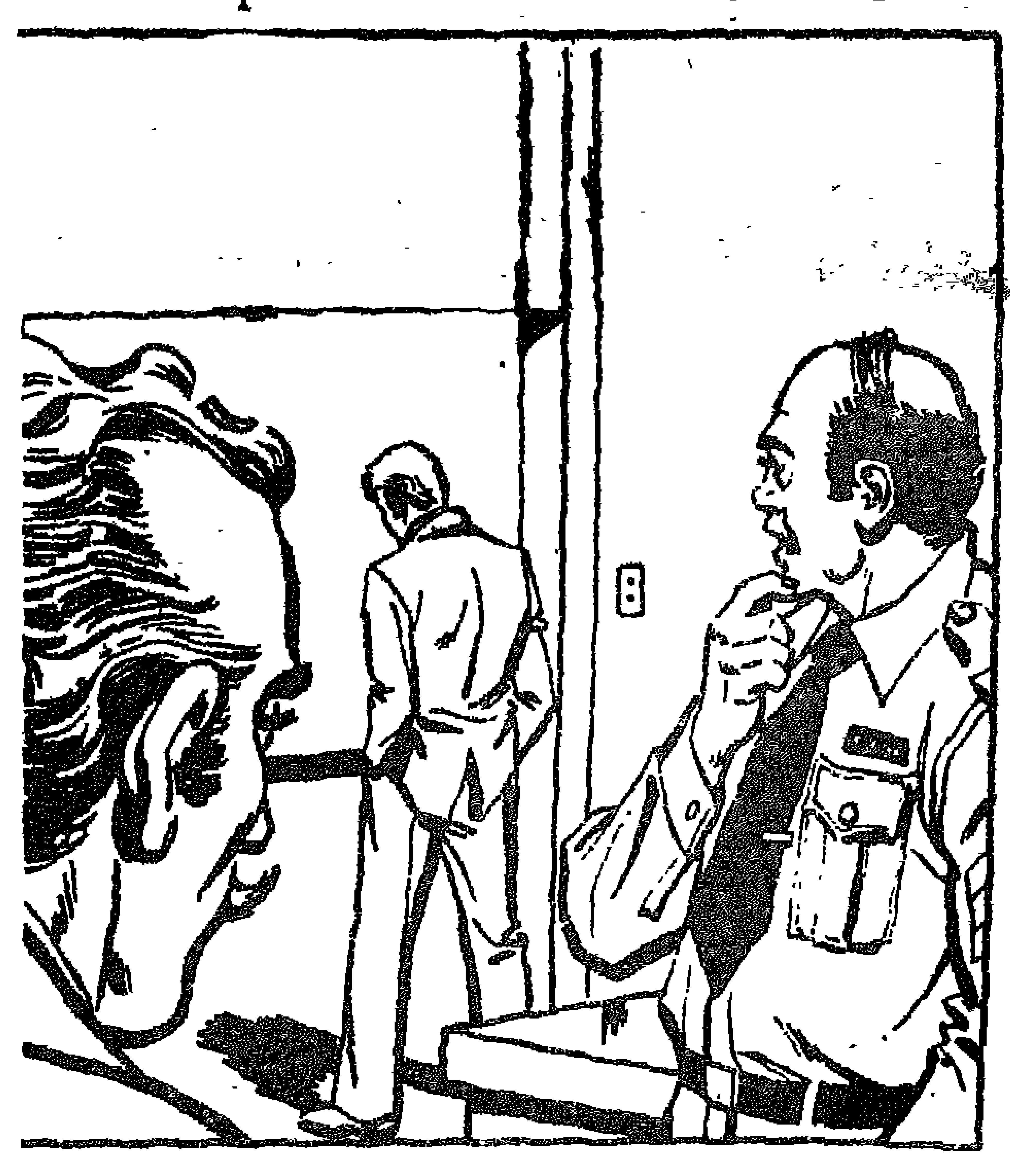
هتف شرلوك هولمز قائلا :

ـ هذا سجل واف . . شامل . . ياواطسن . ليتنا نستطيع أن نكتشف شخصية « الرجل الآخر » الذى سيقوم بتسليم البضاعة .

وغرق برهة فى خواطره . . وهو ينقر بأصابعه على حافة المكتب . . ثم انبعث واقفا وهو يقول :

ـ يخيل إلى أن الأمر ليس عسيرا . . هيا بنا ياواطسن فليس لدينا ما نفعله فى هذا البيت . . فلنذهب إلى ادارة « صحيفة الديلى تليجراف » . . فهناك قد نستطيع أن نحقق ما نصبو إليه . . ونصل إلى مانريد .

الفصل السادس



رسالة إلى الرجل الغامض

في صباح اليوم التالى حضر مايكروفت هولمز . . والمفتش ليستراد إلى زيارتنا . . بناء على دعوة من شرلوك هولمز .

وقد قص هولمز عليهما ماكان من أمره فى اليوم السابق . . فهز ليستراد رأسه . . حين علم بسطونا على البيت . . ولم يلبث أن قال فى شىء من الحدة :

ـ أننا معشر رجال البوليس الرسمين لا نستطيع أن نقدم على هذه الأعمال . . فلا عجب يامستر هولمز اذا استطعت أن تتفوق . . وتتغلب علينا . . وتصيب من المعلومات مانقصر دونه . . ولكنى أخشى أن تسرف يوما فى الاندفاع . . فتجد نفسك . . وصديقك الدكتور واطسن عرضة للمشاكل والمتعب .

فضحك هولمز وقال :

ـ فى سبيل الوطن . . ولذة المعامرة تهون كل المتعب . . أليس كذلك ياواطسن ؟ سنكون شهداء على مذبح الوطن . . ولكن مارأيك فى هذا يامايكروفت ؟

فهتف مايكروفت بصوته الجهورى :

ـ بديع ياشرلوك . . بديع جدا . ولكن هل فى وسعك أن تبلغ الغاية المرجوة ؟

فتناول هولمز صحيفة « الديلى تلجراف » الملقاة على لمقعد . . وقال لمايكروفت :

ـ ألم تقرأ رسالة بيرو التى نشرها اليوم ؟

فصاح مايكروفت فى دهشة :

ـ ماذا ؟ رسالة أخرى ؟

ـ نعم . . وهـذا نصها : « الليلة نفس الموعد ونفس المكان ـ خبطان ـ الأمر خطير جدا ـ سلامتك متعلقة فى كفة الميزان ـ بيرو » .

ـ عظيم جدا . . لو لبى صاحبنا هذه الدعوة لظفرنا به فى الحال .

فابتسم هولمز وقال :

ـ أنى أنـا الذى نشرت هذا الاعلان لأوقعه فى الفخ . . فإذا استطعتما أن ترافقانى إلى « مبانى حدائق كولفيلد » فى الساعة الثامنة . . فقد تنكشف لنا من للغز ناحية جديدة .

واتفقنا جميعا على الذهاب معه . . وحددنا الموعد لذلك .

* * *

ولعـل من أبـرز مزايا شرلـوك هولمز قدرته الفذة على طرح مشـاغله . . وهمومه . . وصرف ذهنه إلى أية ناحية غير ناحية العمل . . حين يعتقد أن إدمان التفكير فى اللغز الذى لديه لن يؤدى إلى تقديم جديد .

* * *

وأذكر أنه أمضى سحابة ذلك النهار منهمكا فى إتمام رسالة



عن « تأثير الموسيقى على الحيوانات » . . وكيف انها تخفف من حدة طبعها . . وتنشط من ذكاءها !!

ولو أن شخصا رآه وهو منهمك فى الكتابة لوقع فى روعة أنه ليس لدى هذا الرجل ما يشغله . . وأن الحكومة لم تضع على عاتقه عبء انقاذ سر من أخطر أسرارها الحربية .

* * *

وفى نفس ذلك الوقت كنت أنا جالسا أتعذب . . وأفكر فى جسامة المسئولية الواقعة على كواهلنا . . فالدولة كلها فى غاية الانزعاج . . وسرنا الحربى يكاد أن يتسرب إلى أعدائنا .

وكلما فكرت فى هذا . . تهدمت منى الأعصاب . . فكان مما [illegible]فه عن أن انقض[illegible] [illegible] [illegible] الساعة المنتظرة

الفصل السابع



من القاتل ؟

التقى بنا مايكروفت هولمز . . والمفتش ليستراد فى حانة على طريق « جلوشستر » فى الموعد الذى ضربه لهما هولمز .

* * *

وفى تمام الساعة الثامنة مساء كنا جميعا جالسين فى قاعة المكتبة . . فى انتظار مجىء الرجل الذى سرق سر الغواصة . . وباعها إلى الجواسيس الأجانب .

* * *

ومرت ساعة . . أعقبتها ساعة أخرى .

وحين أرسلت ساعة الكنيسة إحدى عشر دقة خيل إلينا أن كل دقة منها كانت معولا يقوض رجاءنا وآمالنا . . وراح ليستراد ومايكروفت يتململان فى مقعديهما . . وينظران فى الساعة مرتين فى الدقيقة الواحدة !!

أما شرلوك هولمز . . فكان . . على النقيض من ذلك . . ساكنا . . رابط الجأش . . وقد أغمض عينيه نصف إغماضة . . وإن كانت كل جارحة من جوارحه متوثبة . . متحفزه .

وفجأة رفع رأسه . . وأصغى .

وبعد لحظة همس الينا :

ـ خيرا . . قد أتى .

وسمعنا وقع أقدام فى الخارج . .

ثم دقتين متتابعتين على الباب .

* * *

نهض هولمز واقفا . . وأشار الينا بالبقاء حيث كنا .

وكان البهو مضاء بنور خافت . .

وفتح هولمز الباب الخارجى . .

ودخل القادم المجهول . .

وأوصد هولمز الباب خلفه . . وغمتم قائلا :

ـ تفضل بالدخول .

وفى اللحظة التالية كان القادم المجهول واقفا امامنا فى قاعة المكتبة .

وكان هولمز يسير خلفه فى خطوات خفيفة .

* * *

ما أن استقر بصر الرجل علينا حتى انطلقت من صدره صرخة فزع . . ودهشة بالغة .

واستدار يبغى الفرار . .

ولكن هولمز أمسك به . . وأعاده إلى الشرفة فى دفعه عنيفة .

وقبل أن يستعيد الرجل توازنه . . كان هولمز قد أغلق الباب . . وأسند ظهره .

وأدار الرجل فينا نظره تنم عن الذعر . . وترنح قليلا . . ثم سقط على الأرض غائبا عن الوعى .

وحين وقع النور على وجهه رأينا أن الرجل ليس إلا الكولونيل فالنتين والتر !!

* * *

قال لى هولمز وهو يهز رأسه فى دهشة :

ـ يمكنك ياواطسن أن تضمن روايتك عنى أنى كنت غبيا فى هذه المرة . . فقد كنت أتوقع أن يكون القادم شخصا آخر .

فقال مايكروفت فى لهفة .

ـ ومن هذا الرجل ؟

ـ انه الأخ الأصغر للمرحوم سير جيمس والتر « مدير قسم الغواصات » . . ها هو ذا قد بدأ يستفيق من أغمائه . . فدعوا أمر استجوابه لى .

* * *

وحملنا الرجل الغائب عن الوعى إلى الأريكة .

وبعد لحظات أفاق من أغمائه .

وانتصب جالسا . . وفى وجهه ماينبىء بأشد دلائل الفزع . . ثم مر بيده على جبينه . . كأنما ينكر ما ترى عيناه .

وأخيرا قال متسائلا :

ـ ولكن ما معنى هذا بحق السماء . . لقد جئت أوزر مستر اوبرستاين .



فأجابه هولمز بقوله :

ـ لقد إنكشف كل شيء ياكولونيل والتر . . ولست أستطيع أن أتصور كيف يقدم انجليزى صميم على مثل هذه الفعلة . . ولكن يجب أن تعلم اننا لا نجهل شيئا عن أمر المكاتبات التى دارت بينك . . وبين اوبرستاين . . فدعنى أشير عليك بأن تعترف اعترافا كاملا . . ففى هذا الاعتراف ماينبىء على الأقل بأن الندم قد أركك على ما فعلت . . فهناك بعض تفصيلات لا زلنك نجهلها . . والأمر فى الافضاء بها موكول اليك .

فتمتم الرجل متوجعا . . متألما . . ودفن وجهه بين يديه . . فانتظرنا أن يتكلم . . ولكنه لبث صامتا لا يقول شيئا .

وأخيرا تكلم سرلوك هولمز قائلا :

ـ أستطيع أن أؤكد لك ياكولونيل والتر اننا على علم تام بكل شىء . . فنحن نعرف أنك كنت فى حاجة ماسة الى المال . . وانك أخذت غالبا المفاتيح التى اؤتمن اخوك عليها فصنعت مثلها .. وانك كاتبت اوبرستاين . . فكان يرسل ردوده اليك عن طريق الاعلان فى « الديلى تلجراف » .

ونعلم أيضا انك ذهبت إلى المكتب فى مساء الأثنين الماضى . . متسترا بالضباب . . فلمحك كادوجان وست . . واقتضى أثرك . . ومن المحتمل انه كان يرتاب فى أمرك من قبل . . أوراك وأنت تسرق الوثائق . . ولكنه لم يستنجد

باحـد . . اذ كان من المحتمـل انـك لم تسرقها . . وانك إنما أخذتها بأمر من أخيك لأنه فى حاجة إليها .

وبناء على ذلك تخلى كادوجان وست عن كل ما يشغله . . وانطلق فى أثرك . . تحت ستار الضباب . . حتى هذا البيت . وكأى وطنى مخلص لم يجد الشابا بدأ من الدخول وحينذاك لم تكتف ياكولونيل بارتكاب جريمة الخيانة فحسب . . وانما لوثت يديك بدماء أيضا . . وقتلت الشاب التعس .

* * *

هتف الكولونيل فى ذعر :

ـ أنى لم أقتله . . أنى لم أقتله . . أقسم أمام الله أنى لم أقتله .

فقال له هولمز فى صرامة :

ـ حدثنا اذن كيف لقى كادوجان وست حتفه قبل أن توضع جثته على سطح مركبة القطار .

فقال الكولونيل فى تخاذل واعياء :

ـ ساحدثكم بكل شىء . . أقسم أنى سافضى اليكم بكل ما أعلم .

* * *

وصمت الرجل لحظة ثم استطرد يقول [illegible]

ـ اعترف بأنى سرقت الأوراق كما قلت أنت تماما . . فقد كنت غارقـا فى الـديون بسبب المضاربات . . وكنت فى حاجة الى

المال . . فعرض على اوبرستاين خمسة آلاف جنيه . . فقبلتها لأنقذ نفسي من الخراب . . ولكني اقسم لكم اني بريء من دماء هذا الشاب .

كان كادوجان وست يرتاب في أمري . . وقد اقتفى خطواتي كما ذكرت . . ولم أفطن للأمر إلا وأنا واقف عند الباب . . اذ كان الضباب كثيفا .

وما أن فتح اوبرستاين الباب حتى وثب الينا الشاب من احشاء الضباب . . وسألنا عما ننوي أن نفعل بالأوراق .

ودعاه اوبرستاين الى الدخول ليجيبه على سؤاله . . وما كاد الشاب يتقدمخطوات في البهو حتى عاجله اورستاين بطعنه من مدية كان كان يخفيها في ثيابه .

وكانت الطعنة قاتلة .

وقد لفظ أنفاسه الأخيرة بعد خمس دقائق على الأكثر .

* * *

ورحنا نتبادل الرأى فيما حدث ننشد طريقا للخلاص من هذه الورطة الشائكة .

وهنا تذكر اوبرستاين أن القطارات تقف بضع دقائق تحت النافذة . . وأن من الممكن أن نطرحه على ظهر احدى المركبات . . ولكن قبل أن ننفذ ما عقدنا عليه العزم فحص اوبرستاين الأوراق التي حملتها إليه . . وقال أن ثلاثا منها ذات

أهمية قصوى . . وأنه مضطر إلى الاحتفاظ بها .

قلت له معترضا :

ـ هذا مستحيل . . لو أنك احتفظت بها . . لأثرت ضجة كبرى في (ولويتش) . . فلا مناص من إعادتها إلى مكانها في الخزانة .

فقال اوبرستاين :

ـ بل يجب أن أحتفظ بها لأنها تتضمن بيانات ورسوم فنية لا يمكن نسخ صورة منها في خلال هذا الوقت القصير .

فقلت في شيء من الحزم والغضب :

ـ في هذه الحالة يجب أن تعاد جميع الأوراق الليلة .

وفكر اوبرستاين برهة . . ثم أخبرني أنه وفق إلى حل للمشكلة .

واستطرد موضحا .

ـ ساحتفظ بالأوراق التي أبتغيها . . أما الأوراق السبع الأخرى . . فسوف نضعها في جيب هذا الشاب . . فإذا ما عثروا عليها في جيبه ظنوا أنه هو سارق الوثائق كلها .

وحبذت هذه الفكرة . إذا كانت هي في رأيي المخرج الوحيد للورطة التي أوقعت نفسي فيها .

* * *

وانتظرنا نصف ساعة عند النافذة . . حتى مر بنا أحد القطارات . . ووقف تحتها .



وكان الضباب كثيفا . . لاتتبين فيه العين شيئا . . فاستطعنا أن نضع جثة كادوجان وست على سطح المركبة دون أن يرانا أحد .

وانتهى الأمر فيما يتعلق بى .

* * *

وقال شرلوك هولمز متسائلا :

ـ أنخوك ؟

فأجاب الكولونيل :

ـ لم يوجه إلى كلمة واحدة . . ولكنه فاجأنى مرة وأنا أعبث بمفاتيحه . . فداخله الشك فى أمرى . . وكانت هذه الريبة هى التى دفعته إلى الانتحار حتى لا يرى شرف الأسرة ممرغا فى أوحال الفضيحة والعار .

* * *

وساد الحاضرين صمت قصير .

ثم تكلم مايكروفت هولمز .

قال فى نبرات رصينة . . هادئة :

ـ هل تريد ان تكفر عما فعلت . . ولو إلى حد ما ؟ قد يخفف هذا التكفير عنك شيئا من عذاب الضمير . . وقد يفضى إلى تخفيف العقوبة عنك .

ـ أى تكفير تبتغى منى ؟

ـ أين ذهب اوبرستاين بالأوراق ؟
ـ لست أدري .
ـ ألم ينبئك بعنوانه ؟
ـ انبأني بأن الرسائل التي ترسل باسمه إلى « فندق اللوفر » بباريس ستصله حتما .

فقال شرلوك هولمز :
ـ أذن ففي وسعك أن تكفر عما ارتكبت .

فهتف الكولونيل :
ـ اني على استعداد لأن أفعل كل ما تطلبوه مني . . انني أمقت هذا الرجل . . فهو السبب في دماري . . وتلويث شرفي .

فقال شرلوك هولمز .
ـ هاك ورقة وقلما . . فاجلس إلى هذا المكتب . . واكتب ما أمليه عليك . . وسجل على المظروف العنوان الذي سوف أذكره لك . . حسنا جدا . . اليك الرسالة :

« سيدي العزيز

بخصوص الصفقة التي عقدت بيننا أظنك قد لاحظت الآن أنه ينقصك عنصر جوهري لا استغناء عنه . . وعندي ما يكمل هذا النقص . . وما يجعل الموضوع مستكملا . . وافيا .

« وأظنك تدرك بطبيعة الحال اني قد احتملت متاعب ومشقات عديدة . . ولهذا أريد أن تزودني بخمسمائة جنيه

أخرى على الفور .

« وأنت تعلم انى زيادة فى الاحتياط والتبصر لا أوافق على استلام المبلغ عن طريق البريد . . وانما أصر على أن يكون الدفع نقدا .

« وكان بودى لو استطعت اللحاق بك إلى فرنسا . ولكن سفرى فى الوقت الحاضر كفيل بإثارة الشكوك حولى . . ولا سيما وأنت تعلم أن أخى قد مات .

« ولهذا سأكون فى أنتظارك بقاعة التدخين فى (فندق شيرنج كروس) فى الساعة الثانية عشرة من يوم السبت القادم .

« ولا تنس أخيرا انى لن أقبل الثمن الا نقدا . . نقودا ذهبية أو أوراقا مالية من فئة صغيرة » .

ولما فرغ شرلوك هولمز من إملاء هذه الرسالة على الكولونيل فالنتين والتر . . قال له :

ـ هذا يكفى . . وقع الرسالة الآن . . ولن يدهشنى أن تحمله هذه الرسالة على الحضور حالا .

* * *

وصح ما توقعه هولمز .

كان اوبرستاين شديد التلهف إلى استكمال أعظم عمل من أعمال الجاسوسية قام به فى حياته .

فجاء مسرعا إلى الموعد المضروب . . ووقع فى الفخ .



وسيق من الفندق إلى السجن . . حيث أمضى فيه خمسة عشر عاما .

* * *

وعثر البوليس فى حقيبته على الرسوم المسروقة وكان الشقى قد عرضها بالمزاد على بعض دول أوربا المعادية لانجلترا . . وكانت الصفقة شيكة على الانتهاء .

أما الكولونيل والتر فمات فى سجنه فى نهاية العام الثانى من المدة المحكوم بها عليه .

* * *

وعاد هولمز إلى اتمام رسالته المعهودة عن « تاريخ الموسيقى فى القورن الوسطى » .

واستطاع أن يفرغ منها . . وينشرها على الناس . . فلقيت من النقاد كل تقدير .

* * *

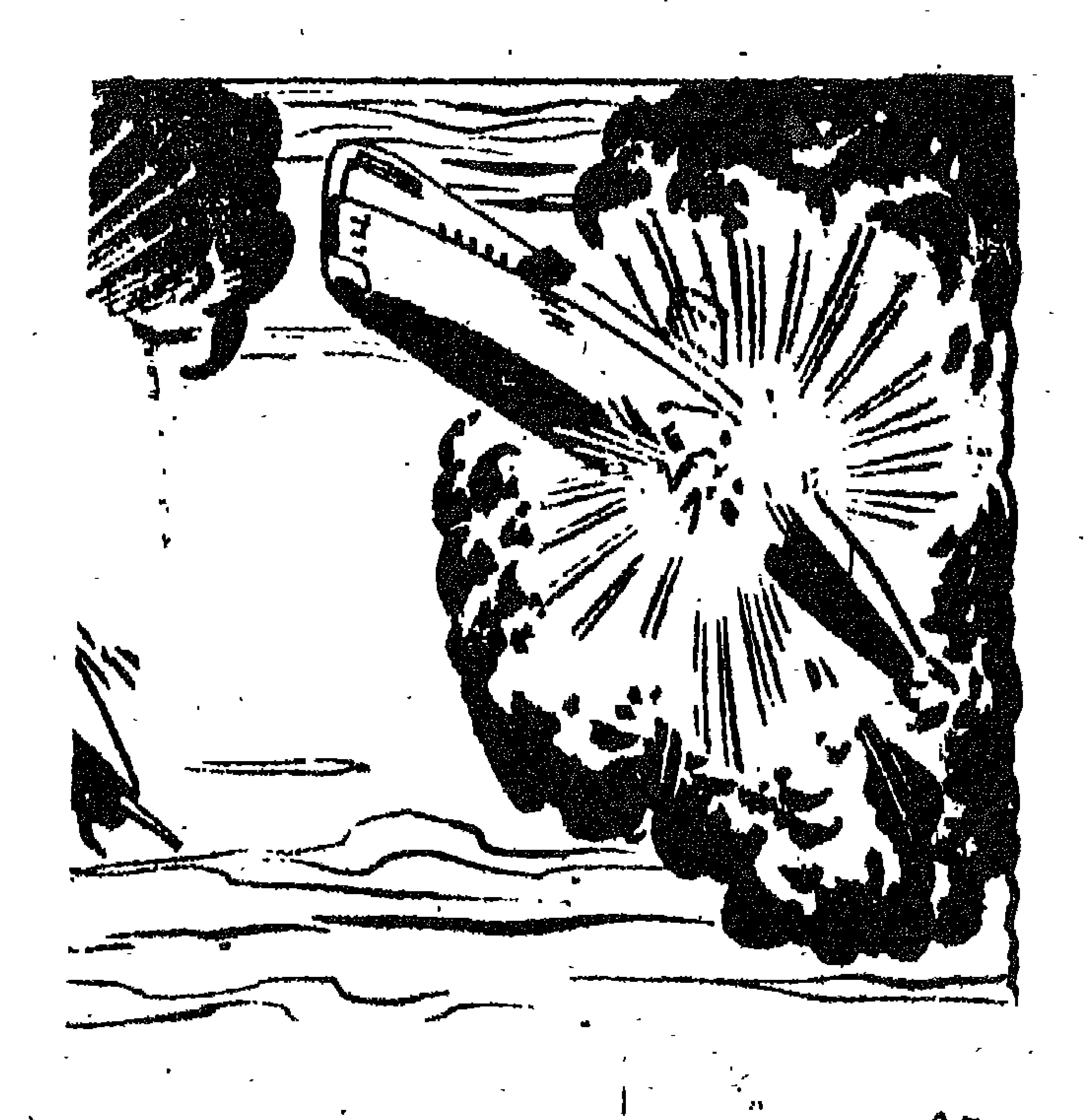
وبعد بضعة أسابيع دعى شرلوك هولمز إلى (قصر وندسور) . . حيث حظى بشرف لقاء الملك والملكة .

وعند خروجه من القصر شوهد يثبت ربطة عنقه بدبوس موصع بماسة كبيرة . . نفيسة .

ولما سألته عن هذه الماسة . . وما اذا كان قد ابتاعها . . أجابنى قائلا .

ـ ليست قيمة هذه الماسة ياعزيزى واطسن فى ثمنها . . وانما فى أن يدا ملكية . . رقيقة . . لمستها . . وثبتتها فى ربطة عنقى . وثق ياعــزيزى انى سأظــل طول حياتى اذكــر هذه القضية بالزهخو . . والفخار . . اذ كانت سببا فيما ظفرت به من عطف ملكى كريم .

« تمت »

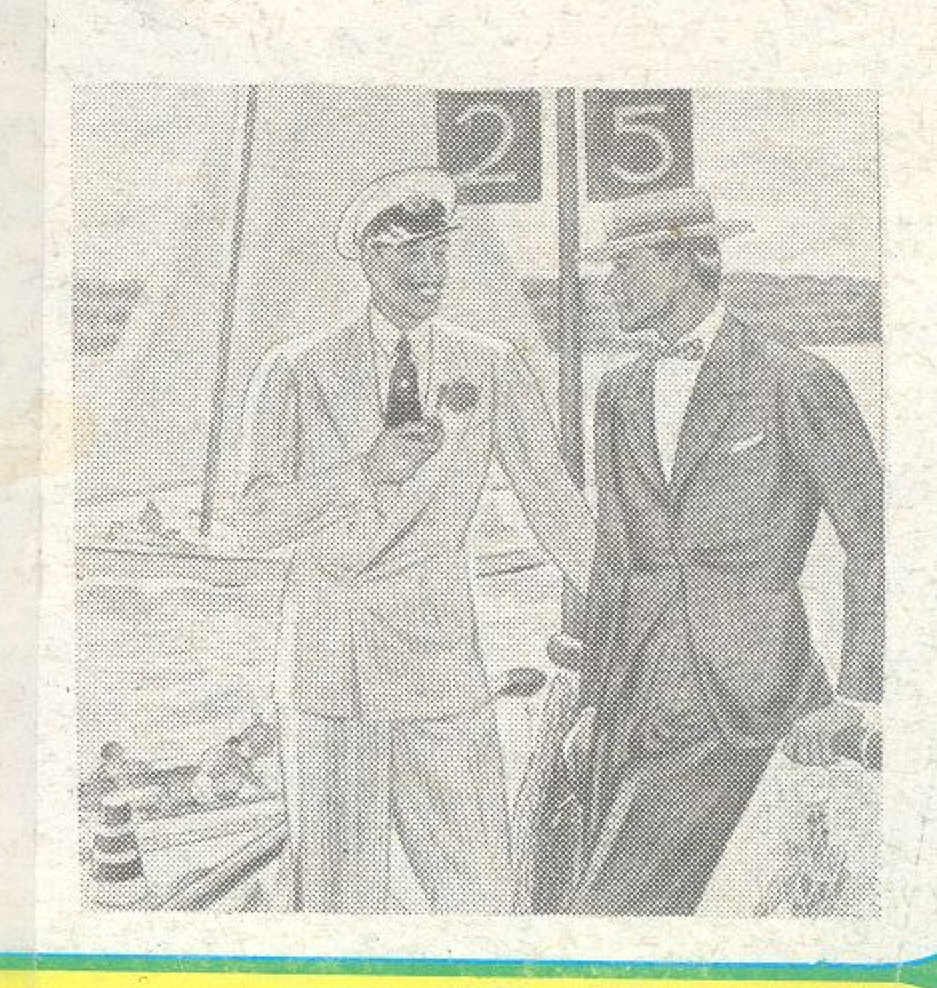


مغامرات شرلوك هولمز

سر الغواصة



يموت رجل .. وينتحر آخر .. وتختفى تصميمات غواصة حربية من نوع جديد .. وتطلب الحكومة اجراء تحقيق عاجل .. فيكشف خبايا القضية الغامضة البوليس السرى العظيم شرلوك هولمز .. الرجل الذى خلق من الاستنتاج فنا رفيعا . ان « مغامرات شرلوك هولمز » كانت - ولاتزال - تدرس لرجال البوليس فى « سكوتلانديارد » كنموذج لقدرة العقل البشرى على القياس والمنطق فى كشف أشد الجرائم غموضا .. وتعقيدا .



ترجمة

العدد القادم : الجريمة ال...

مطبعة المعرفة

٥٠ قرشـــا